

جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة القادسية / كلية الاداب
قسم اللغة العربية

أثر المكاتب الرومانسية

في شعر

جبران خليل جبران

بحث تخرج تقدمت به الطالبة

عذراء عقيل عواد

ونور الهدى حازم معن

الى قسم اللغة العربية وهو جزء من متطلبات نيل شهادة البكالوريوس في اللغة
العربية

اشراف

ساجد كامل الزامل

٢٠١٧ م

١٤٣٨ هـ

المذهب

المعنى اللغوي لكلمة (أثر) :

الأثر : آثار وأثر ١ - الخبر : ((هو من حمل الأثر)) ٢ - ما بقي من رسم الشيء.

الأثر : ((خرجت في إثره)) . أي عقبه وبعده^(١) .

أثر : الأثر : بقية ما ترى من كل شيء وما لا يرى بعد ما يبقى علقه ، والأثر خلاصة السمن ، وأثر السيف ضربته ، وذهبت في أثر فلان أي ستفقيته مشتق منه فعل^(٢) .

المعنى الاصطلاحي :

الأثر له ثلاث معاني : الأول بمعنى النتيجة ، وهو الحاصل من الشيء ، والثاني : بمعنى العلامة ، والثالث بمعنى الجزء^(٣) .

المذهب لغة : المذهب : مكان الذهاب وهو الطريق ، والذهاب السير والمرور والمذهب مصدر الذهاب ، وذهب به وأذهبه غيره : أزاله ، والمذهب المتوضأ ؛ لأنه يذهب اليه والمذهب : المعتقد الذي يذهب اليه^(٤) .

المذهب اصطلاحاً : الأحكام التي اشتملت عليها المسائل شبهت بمكان الذهاب بجامع ان الطريق يوصل الى المعاش .

(١) الرائد الصغير أبجدي للمبتدئين ، جبران مسعود ، دار العلم للملايين ، بيروت لبنان ، ط ١ : ١٥ .

(٢) العين ، الخليل بن أحمد الفراهيدي ، تحقيق ، عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية ، ط ١ ، ج ١ ، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م : ٥٦ .

(٣) معجم التعريفات ، علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني ، تحقيق ودراسة محمد صديق المنشاوي ، دار الفضيلة ، الإدارة القاهرة ، د.ط : ١١ .

(٤) لسان العرب : أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ابن منظور) ، دار صادر ، د.ط ، ٢٠٠٣ : ١ / ٤٨ - ٤٩ .

وتلك الاحكام توصل الى المعاد او الجامع . ان الاجسام تتردد في الطريق ، والافكار تتردد في تلك الاحكام بمعنى الذهاب واستعير الذهاب لاختيار الاحكام ، واشتق منه مذهب بمعنى احكام مختارة ثم صار حقيقة عرفية حكاة المحشي عن شيخه والبجرمي^(١) .

المذهب الرومانسي

لقد تعددت المصطلحات التي اطلقت هذا التيار او المذهب الادبي كما يسميها العلماء (الرومانسي ، او الرومانتيكي ، او الرومانطيسي) وهي كلها تشير الى ترجمة مصطلح (ROMANTISME)^(٢) . وتعني في العصر الوسيط حكاية المغامرات شعراً ونثراً. وتشير إلى المشاهد الريفية بما فيها من الروعة ، التي تذكرنا العالم الأسطوري والخرافي والمواقف الشاعرية؛ فيوصف النص أو الكاتب الذي ينحو هذا المنحى بأنه "رومانتيك". ويرى بعض العلماء ان كلمة (رومانس) لفظة اسبانية الاصل تدل على نوع من الصياغة الشعرية مؤلفة من مجموعة أبيات ثمانية المقاطع، تكون فيها الابيات الزوجية مشتركة في القافية والابيات الفردية مطلقة ، أي غير مقفاة ... وهذا السياق من النظم متحدر من البيت الملحمي القديم المؤلف من ستة عشر مقطعا ، فيتحول فيه كل من الصدر والعجز الى بيت مستقل^(٣) .

في حين يرى آخرون عدم جدوى التتبع التاريخي للمصطلح : ((لسنا معنيين هنا بتتبع التاريخ المبكر لكلمة (رومانسي) وما شاهده من توسع لاستعمالها من معنى (شبيه بالرومانس) أي الاقصوة الخيالية... ، الى معنى (التصور المؤثر) واذا ما حصرنا اهتمامنا بتاريخ المصطلح كما هو مستخدم في النقد والتاريخ الادبيين فلن تواجهنا صعوبات كثيرة في رسم معالمه . لقد استخدم اصطلاح (شعر رومانسي) اول ما استخدم ليصف شعر أريوستر وتاسو واقاصيص العصور الوسطى التي استمد الشعاران المذكوران منها المواضيع وآلات السرد))^(٤) .

(١) حواشي تحفة المنهاج بشرح المنهاج ، ابن حجر الهيتمي ، عبد الحميد الثرواني - ابن قاسم العبادي - ، د.ط ، ١٩٣٨ م : ١ / ٣٨ .

(٢) ينظر : الرومانتيكية ، محمد غنيمي هلال ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان : ٧-٨ .

(٣) ينظر : مدخل الى دراسة المدارس الادبية في الشعر العربي المعاصر ، د. نسيب نشاوي ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، ١٩٨٤ : ١٥٦ .

(٤) مفاهيم نقدية ، رينيه ويليك ، ترجمة د. محمد عصفور ، عالم المعرفة، الكويت ، ١٩٨٧ : ٦٣ .

وأول ظهور للمصطلح في ألمانيا في القرن الثاني عشر، ولم يكن هذا المفهوم واضحاً آنذاك : فأحياناً كان يعني القصص الخيالي، وأحياناً التصوير المثير للانفعال؛ وتارة ما يتّصل بالفروسية والمغامرة والحبّ وتارةً أخرى المنحى العفويّ أو الشعبيّ أو الخروج عن القواعد والمعايير المتعارف عليها، أو الأدب المكتوب بلغاتٍ محلية غير اللغات القديمة، كالفرنسية والإيطالية والبرتغالية والإسبانية^(١) .

وإجمالاً صارت كلمة "رومانتيك" تعني كل ما هو مقابل لكلمة "كلاسيك" ولذلك نعت بالرومانسية شعراء وروائيون ومسرحيون عاشوا قبل عصر الرومانسية مثل شكسبير وكالديرون وموليير ودانتي وسرفانتس، لأنهم أتوا بأشياء جديدة، ولم يكونوا يحفلون بالحفاظ على الأشكال القديمة^(٢). ومن أهم خصائص الأدب الرومانسيّ هو الاحتجاج على سلطان العقل والاتجاه إلى القلب بما يجيش فيه من المشاعر الملتهبة والأحاسيس المرهفة، والعواطف والأهواء والقلق والاندفاع غير المحدود نحو الجمال، والتغني بالحب الأفلاطوني والبوهيميّ، الحبّ في أحضان الطبيعة والعفوية والتمرد على القيود والشكليات الاجتماعية. ف ((الرومانسيون اضافوا فكرة الخيال المبدع فاحلوا الفن ارفع مكان بينما طرده افلاطون من مدينته الفاضلة))^(٣) ولدى عودة الرومانسيين إلى الذات أصبح الفرد محور الأدب لا الإنسان الكلّي وتضخمت النرجسيّة ونما أدب البوح والاعتراف، فقد تمرد الرومانسيون على جميع الأنظمة والقواعد والقوانين والمواضعات الاجتماعية والاحكام المسبقة وراحوا ينشدون الحرية الفكرية والأخلاقية والانعقاد اللانهائي.

العودة إلى الطبيعة واتخاذها إطاراً للمشاهد القصصيّة وموضوعاً موحياً أثيراً، فقد اكتشف الرومانسيون ما في الطبيعة من الجمال والعظمة ولا سيما الأجواء العاصفة والبحار الهائجة والجمال الشامخة الجبارة والغابات الغامضة. والليالي المظلمة والأطلال البائدة؛ وأخلدوا إلى ما في الطبيعة من سكون ووحشة وعزلة، ورأوا فيها روحاً وحياةً متجددة فواجهوها كأمر رؤوم وحببية معشوقة ، فلقد ((تصور الرومانسيون جميعهم الطبيعة ككل عضوي على شاكلة الانسان ورفضوا اعتبارها مجرد حشد من الذرات ، فالطبيعة عندهم لا تنفصل عن القيم الاستطيقية التي

(١) ينظر : مفاهيم نقدية: ٦٤ .

(٢) ينظر : المذاهب الادبية والنقدية عند العرب والغربيين ، د. شكري محمد عياد ، عالم المعرفة ، الكويت :

١٥٧ .

(٣) المرجع السابق : ١١٠ .

لها من الواقعية ما لتجريدات العلم بل اكثر))^(١) . أما مكانة المرأة فقد اتّجه أدباء الرومانسية فمنهم من أعطاهها منزلة ومكانة عالية وأعادوا إليها اعتبارها الاجتماعي، ولكن روحهم الشعريّة اختلفت في النظر إليها، فمنهم من وجد فيها الحبيبة المعبودة والملهمة والملاك الذي هبط من السماء رأى آخرون ان المرأة تجسيد الشرور الشيطانية وتجلب الشقاء والألم، والمعاناة وشاهدوا فيها الوجهين المتناقضين، وعلى العموم هي عندهم القدر الذي لا فكاك منه. أما الحبّ فقد سما عندهم إلى مرتبة العبادة.

وانقسم الرومانسيون الى فريقين ، فمنهم المتفائلون ومنهم المتشائمون والخيال يدفع كلا الفريقين نحو سلوك طرق متباينة ، ولكن يجمع بينهم الهروب من الواقع بضرب من الخيال^(٢) .

جبران خليل جبران

ولد جبران خليل جبران ((ليلة السادس من كانون الأول في سنة ١٨٨٣م))^(٣)، في عائلة مارونية المذهب ، شهد في صغره الخلافات بين والدته ووالده حينما ، كما انه عاش شظف الحياة مع والده حينما كان يرحل معه إلى الجبل. وقد ظهرت ميوله إلى الرسم منذ طفولته^(٤)، عمره (١٢) سنة عندما هاجر مع عائلته إلى بوسطن في الولايات المتحدة سنة ١٨٩٥ وسكنوا الحي الصيني ، تاركين رب الأسرة في لبنان. تعرض والد "جبران" للسجن عام ١٨٩١م بتهمة الاختلاس حيث تم مصادرة أملاكه، وفي ٢٥ يونيو ١٨٩٥م قررت والدته الانتقال برفقة أبنائها إلى نيويورك حيث هاجر الكثير من عائلتها^(٥) ، وهناك التحق "جبران" بمدرسة للفنون والتقى بمدرس يدعي "فريد هولاند دي" الذي اكتشف موهبته في الرسم، وقام بنشر بعض رسوماته على أغلفة الكتب عام ١٩٨٩م. عاد "جبران خليل جبران" إلى بيروت حيث التحق بمعهد للتعليم العالي، وقام مع زملائه في الدراسة بتأسيس مجلة أدبية طلابية كما تم اختياره شاعر الكلية، ولكنه عاد إلى بوسطن ثانية عام ١٩٠٢م بعد أن توفي كثير من أفراد عائلته ولم يتبق له سوى

(١) مفاهيم نقدية : ١٠١ - ١٠٢ .

(٢) ينظر : الرومانتيكية : ٧٧ .

(٣) جبران خليل جبران ، حياته ، موته ، ادبه ، ميخائيل نعيمة ، مؤسسة نوفل ، بيروت ، ط٩ ، ١٩٨١ : ٢٤ .

(٤) المرجع نفسه .

(٥) المرجع نفسه .

شقيقته "ماريانا" التي اضطرت العمل في محل خياطة. ومن بوسطن إلى باريس حيث انتقل "جبران" عام ١٩٠٨م ليسبر عمق التحول الثقافي والفني الذي كانت تشهده^(١)، ومن بعدها إلى نيويورك عام ١٩١١م حيث يدرك معنى المدينة الحديثة في أوسع مفاهيمها. كانت للحياة المليئة بالأحداث والأوجاع التي عاشها "جبران"، بالإضافة إلى الحرب العالمية الأولى التي قدمت له أغنى مادة للتأمل الجذري في طبيعة القوة وماهية الضعف في النفس البشرية، الأثر الكبير على شخصيته مما كون بداخلة فنان وشاعر وفيلسوف ينظر إلى الحياة نظرة متعمقة^(٢). فمنذ أول مقال نشره "جبران خليل جبران" بعنوان "رؤيا" وأول معرض للوحاته عام ١٩٠٤م تتعاضد مدارات انتشار نتاجه، وتقف العواصم الحضارية بإجلال أمام أعماله التشكيلية التي يقتنيها عدد من أهم متاحف العالم. قام "جبران" مع مجموعة من أصدقائه بتأسيس "الرابطة القلمية" التي عمدت على تجديد الأدب العربي^(٣)، كما أصدر العديد من المؤلفات والمقالات باللغات المختلفة حيث كانت كتاباته تتبلور في اتجاهين إما الثورة على عقائد الدين أو تتبع الميول والاستمتاع بالحياة. ومن أبرز مؤلفاته ومقالاته باللغة العربية "دمعة وابتسامة" و"الأرواح المتمردة" و"الأجنحة المتكسرة" و"العواصف" و"البدائع والطرائف" و"الأرض" و"عراس المروج" و"نبذة في فن الموسيقى" و"المواكب". بينما من أبرز مؤلفاته باللغة الإنجليزية "النبي" وهو مكون من ٢٦ قصيدة شعرية تم ترجمتها إلى ما يزيد على ٢٠ لغة، و"المجنون" و"رمل وزبد" و"يسوع ابن الإنسان" و"حديقة النبي" و"أرباب الأرض". انتهت حياة الأديب والفنان "جبران خليل جبران" يوم ١٠ أبريل ١٩٣١م في نيويورك لإصابته بتليف الكبد ومرض السل، وتنفيذاً لرغبته بأن يُدفن في لبنان تم بالفعل دفنه في صومعته القديمة في بلده الأم في ١٩٣٢م والتي عُرفت فيما بعد باسم متحف جبران.

(١) ينظر : القناع في كتاب النبي لـ (جبران خليل جبران) ، اميرة محمود عبد الله ، مجلة كلية التربية للعلوم التربوية والانسانية / بابل ، كانون الاول ، ٢٠١٥م ، ع ٢٤ : ٤٢١.

(٢) المرجع السابق : ٤٢٢ .

(٣) ينظر : المذاهب الادبية والنقدية عند العرب والغربيين : ١١٥ .

وكانت بدايات الرابطة القلمية عام ١٩٢٠م ولدت فكرت الرابطة القلمية و بعد أسبوع تم تأسيسها برئاسة جبران خليل جبران وسكرتيه ميخائيل نعيمة ومن أعضائها نسيب عريضة، وإيليا أبي ماضي، ورشيد أيوب، وندره حداد وغيرهم، وقد قامت هذه الرابطة القلمية بدور عظيم في نهضة الأدب العربي في المهجر الشمالي^(١)، وكان لا بد لهذه الرابطة من وسيلة لنشر إنتاج أعضائها، فكانت جريدة "السائح" التي كان يملكها عبد المسيح حداد، أحد أعضاء الرابطة، تلك الوسيلة التي حملت إلى العالم العربي نتاج قرائهم وما جادت به أقلامهم، قبلها كانت مجلة "الفنون" ملك نسيب عريضة تقوم بذلك، ولكنها توقفت عن الصدور قبل نشوء الرابطة^(٢).

(١) المدارس الادبية في الشعر العربي المعاصر : ١٧٧ .

(٢) المرجع السابق .

الفصل الأول

خصائص الشعر المجرى

المبحث الأول: النزعة الانسانية

المبحث الثاني: الأمل والتفائل

المبحث الاول: النزعة الانسانية

عندما ظهرت المدرسة المهجرية اعتمدت الى حد كبير على الجمال التصويري في الشعر والنثر على حد سواء ، ولكن على مدى كبير من رحابة الافق الانساني ودقة الاحساس بشتى نواحي الحياة والمجتمع والجمع بين العاطفة المشبوبة والفكر الموجه الحر والخيال الخصب المجنح مع عمق وحيوية عظيمين والمدرسة المهجرية تمتاز بهذا كله من سائر العصور العربي الماضية وذلك لانها كانت بداية موفقه كل التوفيق لصحة ادراك معنى الادب والشعر وحلتها بالحياة والطبيعة وارتباطهما بالفن والجمال ولتقدير القيم الادبية والفنية الصالحة للحياة .

ومن المزايا التي تميز بها الادب المهجري وبرع فيها وقدم الوانا عجابا في مختلف صور الحياة ونوازع النفس البشرية والفكر الانساني .

ومن هذه الصور البارة القطعة النثرية لجبران خليل جبران وهي على لسان الجمال يصف نفسه : ((انا دليل الحب انا خمرة النفس انا مأكّل القلب انا وردة افتح قلبي عند فتوة النهار فتأخذني الصبية وتقبلني وتضعني على صدرها ... انا ابتسامة لطيفة على شفتي عادة يراني الشاب فينسى اتعابه وتصير حياته مسرح احلام لذيدة))^(١) .

ويوغل جبران احيانا في عالمه الرمزي الخاص الذي ينسجه من نفسه فيصور لنا ((حقل تصورات ، انهارة طيبة كالخمرة واطياريه تسبح كالملائكة وازهار فاتحة العبير فلا يدوسه خير ابن الاحلام))^(٢) .

والحقيقة ان اسوب جبران التعبيري بخيالاته الرقيقة الحلوة وعباراته البسيطة الغنية بالموسيقية ، قد احدثت في العالم هزة تفتحت لها نفوس الاجيال الجديدة من حملة الاقلام

(١) ادب المهجر ، د. عيسى الناعور ، دار المعارف بمصر ، ط ٢ ، د.ت : ١٢٨ .

(٢) النثر المهجري ، د. عبد الكريم الاشر ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، ط ٣ ، ١٩٧٠ : ١٩٥ .

وصدى تجاوبت معه قلوبهم وعواطفهم وسرعان ما انتشر هذا الاسلوب الجبراني في الشرق العربي^(١) .

وقد اشتبكت عوامل كثيرة في تكوين صورة العبير عند جبران اولها انه رسم رحب الخيال فهو يعجز عن يتمثل الفكرة ويملى الاحساس دون ان يتصورها فكأنه يفكر ويحس من خلال الصور وحدها ما تكاد الخاطرة تلمع في رأسه حتى تشف عن صورة ولا يتم انفعاله ولا يستنفذ حتى يتجسد في صورة او اكثر .

فالصورة عمود التعبير عنده وتوشك ان تكون غايته ايضا في كثير من الاحيان ثم قد لا تكفيه صورة الفكرة او الاحساس فيلجأ الى تشبيهها بصورة اخرى ومن هنا كثرت التشبيهات في كتاباته حتى اعتبر رساما اكثر منه كاتباً^(٢) .

وبرز هذا بوضوح في صوره الادبية الفنية ((ففيها تلتقي الاشارات الميثولوجية والدينية الشرقية منها والغربية ويجتمع في صوره تلك المحسوسات بجميع صوره الادبية لقد كان جبران رساما يعبر عن افكاره بالخطوط والالوان قبل ان يكون كاتباً فينقل الى قلمه موهبته وخبرته التصويرية وهو يعجز عن ان يتمثل الفكرة ويتملى الاحساس دون ان يتصورها فالصورة هي عمود التعبير الفني عند جبران حتى تكاد الصورة الواحدة تحتوي على عدد من الصور الادبية ولهذا اعتبره الكثير من الكتاب رساما اكثر منه كاتباً))^(٣) .

ولقد تعددت مصادر الصورة عند جبران فلم تعد الطبيعة توحى بالتشابه والاستعارات والكنائيات وانما صارت عالماً يعكس التفاعل بين الانسان والطبيعة فالتقط من مظاهرها قانوناً ، وحياء وطريقة فاذا البذور ترمز الى جوهر النفس والقشرة مظاهرها والاوراق والثمار والازهار مراحل النضج والارتقاء والشمس حقيقة التأليف الالهي الذي هو الهدف والغاية ((لكل بذرة من

(١) ادب المهجر : ٦٢ .

(٢) النثر المهجري : ١٩١ .

(٣) النقد الادبي في المهجر ، رسالة ماجستير ، عليه جاسم النجار ، كلية الاداب ، الجامعة المستنصرية ،

١٩٨٥ : ١٩١ .

البذور التي يلقيها الخريف عن لبابها وفي تكوين اوراقها فازهارها فثمارها ولكن مهما تباينت الاساليب فمحجة جميع البذور تظل واحدة وتلك المحجة هي الوقوف امام وجه الشمس ((^(١)).

ولا شك ان جبران الذي يحب ان ينظر الى الحياة دائما من خلال سحابة من الدخان كما يقول الرمزيون كان يجد في الرمزية مبتغاه فهي بالتنعيم والتهويم والالوان والخطوط قادرة على ان تنقله الى اجوائه المسحورة المفضلة ، ولكن ذلك خلف في اسلوبه سمة خفيفة من الغموض والتحمل يحسها القارئ احساسا يغلبه عليهما - في كثير من الاحيان - جمال الصورة وارتفاع حدة الخيال^(٢).

وبالرغم من شاعرية جبران فقد اتهمه العقاد بقصور خياله التصويري وتمثل لذلك في قوله على لسان ساقيته

ما الحياة بالهناء	انما العيش نزوع ومرام
وما الممات بالغناء	انما الموت قنوط وسقام
وما الحكيم بالكلام	بل بسر ينطوي تحت الكلام

فاذا كان جبران مقصرا هنا فلا يعني ذلك انه ليس قادرا على استخدام الخيال المصور - وهو صاحب اسلوب اكبر حركة في الادب العربي - ولفاته الى الساقية له دلالة خاصة في نفسه وهذا ليس محالا على شاعر رومانتيكي^(٣).

لقد اخرجت اليقظة حلم جبران وعالمه الجميل المنسق الذي انمحت فيه المفارقات اعادته الى الواقع القاسي القائم على الغلبة والقوة ومن هنا بدأ ألمه العميق البائس في مطلع المقالة وهو ألم صوره تصويرا رمزيا موحيا استعان فيه بالعنصر الموسيقي استعانة كاملة بدت في توازن

(١) جبران اصالة وحدائة ، د. مها خيريك ناصر ، المؤسسة الحديثة للكتاب ، طرابلس - لبنان ، د.ط ، ٢٠٠٢ : ٢٢٣ .

(٢) النثر المهجري : ١٩٧ .

(٣) النقد الادبي في المهجر : ١٩٥ .

الجمل واختيار الالفاظ ذات الرنين الفاعل في النفس الاثير المثقل بالنواح والعويل اشباح الليل همس الاسرار موكب الظلام^(١).

وقد رمى حبران الى نقل واقعه النفسي الى نفس القارئ بحبك هذه السلسلة المتلاحقة من الصور العجيبة التي لا يألفها المنطق ولكن تسريح اليها النفس اذ يقوم فيها شعور قوي بالحياة وتلاقي مفارقاتها الظاهرة^(٢).

فهو يكتب تحت وطأة انفعاله العاطفي والنفسي فيخضع لهما طاقته الادبية الواعية فكان الالهام والايحاء الادبي مدارة في جميع كتاباته ويعتبر كتابه العواطف من بين اكثر الكتب التي حوت صوره البنائية المركبة نرى ذلك في مقالته (حفار القبور) وفي (رؤيا) والحلم هو طار الصورة الكبيرة ثم تأتي الصور بعده متلاحقة وممزوجة بعضها ببعض ((و كان الضباب قد انحدر من أعالي الجبال و غمر تلك النواحي مثلما يوشي النقاب الرمادي وجه الصبية الحسنة. فوقفتُ محدقاً فوقفتُ محدقاً إلى جيوش الأمواج مصغياً إلى تهاليلها، مفكراً بالقوى السرمدية الكامنة وراءها، تلك القوى التي تركض مع العواصف و تثور مع البراكين و تبتسم بثغور الورود و تترنم مع الجداول. و بعد هنيهة التفتُ فإذا بثلاثة أشباحٍ جالسين على صخرٍ قريبٍ)) ثم يقص خبر الاشباح الثلاثة^(٣).

فاصالة الصورة اذن استجابة لاصالة الاحساس وقد بلغ ذلك عند جبران من خلال ما صورته لنا في لبنان بقمه ووديانه وتلوجه وضبابه من خلال صورة فاشباح الليل تنسل (كأنها ابخرة متولدة) ومتبعوا التقاليد مثل كهوف الاودية الخالية يرجعون صدى اصوات لا يفهمون معناها وصراخ التظلم ينبثق انبثاق الضباب من خلال الاودية وقد اضافت الرومانسية الغربية التي اطلع جبران على ادابها كانت تمد خياله الى اجواء غربية باردة ينطلق فيها دون ان ينشد ارتباط سابق بتراث عربي لم يألف هذه الاجواء ولم يألف التعبير عن حالاتها النفسية^(٤).

(١) النشر المهجري : ١٩٨ .

(٢) المرجع السابق : ١٩٩ .

(٣) النقد الادبي في المهجر : ١٩٩ .

(٤) النشر المهجري : ١٩٣ - ١٩٤ .

ان مفهوم النزعة الانسانية في ظهوره الاول يرتبط ارتباطا وثيقا بالدعوة الى اعادة بناء النظم التعليمية والتربوية والعودة من ناحية اخرى الى الاداب القديمة التي تقوم المثل الاعلى في السلوك المعرفة ولقد اكتسب المصطلح ايضا معنى اخر ليعمل دلالاته على الخصائص والصفات الانسانية أي الصفات التي تميز بها الانسان من دون سائر المخلوقات الاخرى^(١) .

وقد عرف اندريه لاند في قاموسه (النزعة الانسانية) بانها مركزية انسانية متروية تنطلق من معرفة الانسان وموضوعها تقويم الانسان وتقييمه واستبداد كل من شأنه تغريبه عن ذاته سواء باخضاعه لقوى خارقة للطبيعة البشرية ام تشويبه من خلال استعماله استعمالا دونيا دون الطبيعة البشرية^(٢) .

وان النزعة الانسانية وهي النظرة الى المجتمع كله نظرة حب وروعة والرغبة في ان يعم الخير على المجتمع وان تنتشر بين الناس المبادئ السامية المبنية على الحب وتهذيب نوازع النفس الشريرة^(٣) .

والانسانية في مفهومها العام هي نظرة واسعة الى حياة الى الوجود وعلى الاخص الى المجتمع البشري ، وهي الحلم الاكبر الذي يراود اخيلة المفكرين والشعراء والفلاسفة وكل ذي قلب كبير وضمير حي ومن معاني هذه الانسانية فيما يتعلق بالجنس البشري نشر المبادئ السامية والمثل العليا بين الناس ومحاربة النظم التي تباعد بين الانسان واخيه الانسان والعمل على خلق مجتمع انساني يسوده العدل والرحمة والمحبة وعلى تخفيف الشقاء الانساني وتصوير الحياة بصورة محببة الى النفوس^(٤) .

وان المضمون الانساني الذي يعبر عن رأيهم في الانسان ومشكلاته الروحية القائمة في كل عصر وهي المشكلات التي حاولت الاديان على اختلافها ان تجيب عنها اجابات حاسمة

(١) موت الانسان في الخطاب الفلسفي المعاصر ، د. عبد الرزاق الدواي ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت، ط ١ ، ١٩٩٢ : ١٨٩ .

(٢) موسوعة لالاند الفلسفية اندريه لالاند ، تعريب ، خليل احمد خليل ، منشورات عويدان ، باريس ، ط ١ ، ١٩٩٦ ، مجلد ٢ : ٥٦٩ .

(٣) النزعة الانسانية في الشعر المهجري (ايليا ابو ماضي نموذجا) ، محسن حيدر ، د. ط : ٧ .

(٤) ادب المهجر : ٩٦ - ٩٧ .

ويبدو ان الانسانية - في مراحلها جميعا - لم تطمئن اليها اطمئنانا للطبيعة باعتبارها مصدر انساني ومنتهاه باعتبارها مفتاح الحل الذي اختاره لمشكلتهم الروحية الخاصة وهي المشكلة التي اثرت تأثيرا بالغا في آرائهم هذه كلها^(١).

وان المهمة التي يؤالشاعر مهمة انسانية ليستمد من عالمه الخارجي المظاهر والعوامل والانفعالات ويلقح بها خلية من خلايا ابداعه ينقلها يغذيها يعيش حالات الانسان الاخر واحاسيسه ثم يخرجها تصويرا انعكاسيا صادقا من المجتمع الانساني الذي حفز فيه فاعلية الاخصاب الفكري^(٢).

وقد وردت في كتاب الانجيل جمل كثيرة في تفسير الانسان فمنها (الروح نفسه ايضا يشهد لأرواحنا اننا اولاد الله فانا كنا اولادا فاننا ورثة ايضا ورثة الله ووارثون مع المسيح) ، (أما تعلمون انكم هيكل الله وروح الله يسكن فيكم) ، والانجيل يحفظ هذه الجملة عن السيد المسيح (اني انا في ابي وانتم فيه وانا فيكم) ليكون الجميع واحدا كما انك انت ايها الاب في وان فيك ليكونوا هم ايضا واحدا فينا). ان هذه الجمل وغيرها في الانجيل تعني ان المسيحيين ينشؤون وينشأ معهم استعداد اصيل للايمان بوحدة الوجود وقيمة الانسان الممتازة فيه باعتبارها الذروة التي يدرك فيها هذا الوجود ذاته^(٣).

لقد امتاز الادب المهجري بنزعتة الانسانية او الروحية فقد اتسعت آداب المهجريين -او على الاصح قلوبهم - للحب المطلق لكل الوجود ولكل ما في الوجود ولرغبة الخير المطلق لكل المخلوقات فالذي يطلع على ادب المهجر اطلاعا شاملا دقيقا يرى ان الممتازين من المهجريين يشتركون في اهم الخصائص التي ميزت آدابهم في مجموعة وهذه الخصائص ترجع الى عوامل نفسية ، اشترك فيها المهجريون جميعا ولاغربة بعد ذلك في ان يصدروا عن مدرسة واحدة وما دام الجميع يغترفون من مصادر الحياة الواحدة الشاملة^(٤).

(١) النشر المهجري : ٥٧ .

(٢) جبران اصالة وحداثة : ٢٠٥ - ٢٠٦ .

(٣) النشر المهجري : ٦١ - ٦٢ .

(٤) ادب المهجر : ٩٥ - ٩٦ .

وقد كان ادباء المهجر الشمالي ابرز اثرا واوسع افقا واعمق اساسا بانسانية الادب والشعر
وصلتهما بالحياة الانسانية وبالانسان^(١) .

وكان حتى تأثر جبران بالادب او المفكرين الرومانسيين اختلف اسلوبه وتوجهاته بحسب
النصوص التي يتفاعل منها او تجاورها فقد تأثر حين من الزمن بالفنان والشاعر وليم بليك منها
التي امتازت بطابع الرقة وحبّة الضعفاء والمساكين وذلك بافكار تشبه مفاض اسلوبه بالاستخفاف
بالانسان واتخذ وسائل اللوم والتفريع وكتب مقالات تنبض بالثورة على البشر (نحن وانتم) و (
لكم لبنانكم ولي لبناني) و (ابناء الالهة واحفاد القروء)^(٢) .

ويعظم جبران مكانة الشاعر فهو يبدأ معه على الارض وينتهي به الى السماء
ويعظم مكانة الشاعر عظمت الرسالة .

فهي رسالة انسانية خالدة لدى المهجرين وهي كذلك عند غالبية الادباء والنقاد
الرومانتيكين فالشاعر بوصفه لعواطفه ومشاعره الذاتية يتجاوب فيها مع الآخرين ويعبر عنهم في
ثورتهم وفي طمأنينتهم وينقل (غنيني هلال) عن الشاعر الفرنسي قوله (اذا لم يكن الشاعر
مفيدا لجميع الناس فلا مبرر لوجوده في العالم) فرسالته انسانية شاملة لكل الناس وهي ذاتها
رسالة المبعوث من السماء^(٣) .

وكان لجبران نفحة انسانية بعنوان (صوت الشاعر) من النفحات التي تهب من القلوب
الكبيرة لتوسع افاق عاطفتنا وتبسط حدود أدبنا فتربطنا بالانسانية كلها ففيها يقول نابغتنا جبران :
(احن الى بلادي لجمالها وأحب سكان بلادي لتعاستهم ، ولكن اذا ما هب قومي مدفوعين بما
يدعونه وطنية وزحفوا على وطن قريبي وسلبوا امواله وقتلوا رجاله ويتموا اطفاله ورمّوا نساءه
وسقوا ارضه دماء بنيه واشبعوا ضواريه لحوم فتيانه كرهت اذ ذاك بلادي وسكان بلادي))^(٤) .

(١) ادب المهجر : ١٧ .

(٢) ينظر : نثر جبران خليل جبران ، دراسة في ضوء علم النص ، رسالة ماجستير ، رؤى هانف بريهي ، كلية
الاداب ، جامعة القادسية ، ٢٠١٥ : ٦١٩ .

(٣) رسالة في النقد الادبي : ١٤٩ .

(٤) ادب المهجر : ٢٠٠ .

لقد كان جبران شاعرا مجددا يدعوا الى النهوض بالمصادر لا بالفروع وبالجوهر الثابت لا بالاغراض المتقلبة وبما ينشره الوحي من غوامض الحياة لا بما يحويه الفكر من الرغائب الوقتية فكان في فكرة ثورة تدعوا الى هدم الاشكال الجوفاء المفرغة من مضامين انسانية ووضع مفهوم جديد في التراث العربي يعنى بالانسان ويوحى بما سيكون عليه المستقبل^(١) .

فكان جبران احد ادباء المهجر الذين لديهم نزعة وتوجه وانساني فتميزه برحابة افقه الانساني وشعوره بالانسانية الذي جسده في كتبه الكثيرة ولاسيما في (النبي) من شذراته القصيرة التالية في كتابه (رمل وزيد) التي يقول فيها : ((ما أنبل القلب الحزين الذي لا يمنعه حزنه على ان ينشد أغنية مع القلوب الفرحة)) ، وايضا ((اجعلني يا الله فريسة للاسد قبل ان تجعل الارنب فريسة لي)) وايضا ((البغض جثة راقدة ، فمن منكم يريد ان يكون قبرا))^(٢) .

ويقول مخاطب الانسان : ((أنت أخي...وكلانا ابن روح واحد قدوس كلي...وانت مماثلتي لاننا سجيننا جسدين جبلا من طينة واحدة...وانت رفيقي على طريق الحياة...ومسعفي في ادراك كنه الحقيقة المستترة وراء الغيوم...انت انسان وقد احببتك يا أخي))^(٣) .

نلاحظ في كتاباته (يا اخي) و (يا رفيقي) هو نداء رقيق حنون الذي يلامس شفاف القلب ، فيحيله الى شعلة من الحنان والمحبة ، وهذا النداء يشعر كل انسان على وجه الارض بانه اخ وحيب له^(٤) .

فقد كانت كتاباته تتسم بالروح الانسانية المثالية وان معاني هذه الانسانية كانت سمة بارزة في اغلب كتاباته تقريبا ومنها قطعة بعنوان (وعظمتي نفسي) يقول فيها : ((وعظمتي نفسي فعلمتني وأثبتت لي أنني لست بأرفع من الصعاليك، ولا أدنى من الجبابرة. وقبل أن تعطني نفسي كنت أحسب الناس رجلين : رجلا ضعيفا أرق له أو أزدرى به، ورجلا قويا أتبعه أو أتمرده عليه. أما الآن فقد علمت أنني كوّنت فردا مما كوّن البشر جماعة. فعناصرهم عناصرهم.

(١) جبران اصالة وحدانية : ١٩٥ .

(٢) ادب المهجر : ٩٨ .

(٣) النثر المهجري : ٩٠ .

(٤) ينظر : ادب المهجر : ٩٧ .

وطوبتي طوبيتهم. ومنازعي منازعهم. ومحجتي محجتهم، فإن أذنبوا فأنا المذنب. وإن أحسنوا عملا فاخرت بعملهم. وإن نهضوا نهضت وإياهم. وإن تقاعدوا تقاعدت معهم ((^(١)).

وان جبران لم يحصر وطنيته في ارض واحدة ، بل كان مفتحا في تجربته المكان والزمان لينشر ذاته في وطن كوني شمولي تتعالى على الانقسامات والتباعد والخلافات والتباغض ويملاً الشعور بأخوة الانسان للإنسان الى أي مجتمع او دين انتمى : ((البشر ينقسمون الى طوائف وعشائر وينتمون إلى بلاد وأصقاع ، وأنا أرى ذاتي غريبا في بلد واحد ، وخارجا عن أمة واحدة ، فالأرض كلها وطني والعائلة البشرية عشيرتي ، لأنني وجدت الإنسان ضعيفا ومن الصغر أن ينقسم على ذاته ، والأرض ضيقة ومن الجهل أن تتجزأ إلى ممالك وإمارات عدة))^(٢).

وهو جبران الانسان المثالي الها مجنونا لا يعبأ بالحكمة لانها : ((صفة من صفات البشر الضعفاء)) قويا ((تميد الارض تحت قدميه ، ويقف فتقف معه مواكب النجوم معاشرنا للأبالسة وملوك الجن وجبابرة الليل يأخذ عنهم الاستهزاء بالبشر واسرار الوجود والعدم فيجذب في الصباح على الشمس ويلعن البشر عند الظهيرة ، ويسخر في المساء من الطبيعة ، ويركع في الليل امام نفسه ويعبده)) ثم لا ينام كما لا ينام الزمان والبحر ، ويأكل أجساد البشر ويشرب دمائهم ويتجلى بلهائهم^(٣).

والناس في عينه : ((حيوانات داجنة المظاهر ، معطرة الاذنان مصقولة القرون لا تقضي قوانينها ببقاء الانسب بل بدوام الاروغ والاحيل ولا تؤل تقاليدھا الى الفضل والأقوى بل الى الاخبت والاكذب أما ملوكها فليست أبدأ نظيرك بل هم مخاليق عجيبة لهم مناقير النسور ويرائن الضبع وألسنة العقارب ونقيق الضفادع))^(٤).

ان الانتماء الوطني الجبراني انتماء أمميا كونيا ، إنسانيا انتماء يتجاوز الانقسامات والتفرقة والمنازعات والاقتتال ويتعالى على التعص والتعزيات والسلب والقتل والتدمير فهو انتماء

(١) ادب المهجر: ١٩٩ - ٢٠٠ .

(٢) جبران اصالة وحداثة : ١٨٥ .

(٣) النثر المهجري : ١١٧ .

(٤) المرجع السابق : ١١٨ .

متمرد على الحدود ينزع عن الجزئي الى الكلي وعن الذاتي الخاص الى الغيري العام ولذلك كانت محبته لأرضه وطنه جزءا من محبته الكلية للإنسانية جمعاء ، لأن الانسان في رأيه روح الألوهية على الارض : احب مسقط رأسي ببعض محبتي لبلادي وأحب بلادي بقسم من محبتي لأرض وطني واحب الارض بكليتي لأنها مرتع الانسانية روح الالهية على الارض^(١) .

واحب جبران العالم كله والمحبة عنده هي ((الضحك بعيد عن اعماق الروح فهو يحب العالم بكل ما فيه من اخلاص الناس وحنين الشاعر وحيوية الفنان وهي الصفات الثلاث التي يتكون منها ذلك الاديب الذي ندعوه جبران خليل جبران فلقد كان جبران انسانا يحب كل انسان على وجه الارض خارجا عن حدود الدين والجنس والاقليم لان كل انسان هو اخوه في رابطة الانسانية الكبرى او هو صورته في محيط الوجود الواحد الذي لا ينفصل : ثم لأن (المحبة هي ربه ومعلمه على كل حال) وكان الشاعر يرسم بدم القلب ويكتب بعصير الروح ليغني بافراح الانسانية ويبكي باوجاعها ؛ وكان (فنانا) يعبر بالخطوط عن نوازع النفس البشرية ويصور الام الانسانية وآمالها اذن فالمجتمع الانسانية هو الالف والياء في ادب جبران : الشاعر والفنان وهو الحقل الذي يغرس فيه عصارة روحه وشعوره وفيض عقله وخياله^(٢) .

(١) جبران اصالة وحداثة : ١٨٩ .

(٢) أدب المهجر : ٣٦٣ .

المبحث الثاني: الأمل والتفاؤل

ليس شعر التأمل الفكري والفلسفي جديدا في شعرنا العربي فقد أثار ابن الرومي وابو تمام والمتنبي وابو علاء في شعرهم مسائل تأملية وقضايا فكرية لا يمكن اغفالها .

الا ان اتجاه شعر المهجر التأمل اصبح يشكل ظاهرة عامة ربما فاقت كل ظواهرهم الشعرية وكانت الظروف القاسية التي واجهت شعراء المهجر سببا في بروز هذا الاتجاه فقد ترك شعراء المهجر اوطانهم وغادروا اهلهم واحبائهم وواجهوا في بيوتهم الجديدة ظروفًا اقتصادية ونفسية صعبة انعكست في شعرهم حينما الى اهلهم وشوقهم لأوطانهم فراحوا يعبرون عنها بالمعاني المتناقضة من يقين وشك ورضى وسخط وقلق وطمأنينة وغنى وفقر وتفاؤل وتشاؤم^١ .

وميزة التأمل هذه هي من ابرز ما يميز ادب الرابطة القلمية بنوع خاص عن سواه من آداب العرب جميعا في القديم والحديث باستثناء القليل منهم وبعض الخصائص التي ادخلوها على الادب العربي الحديث وكم ادخلوا عليه من جديد نفيس وتفرقوا فيها وسموا الى اجواء عالية والذي يقرأ ادبهم التأملية الشعري والنثري يرى ان هولاء الادباء - الادباء بالطبع لا بالمران والصناعة كما كانوا في تأملاتهم يتجردون من طبيعة الطين ويسمون فوق الحياة وفوق البشر ويخلقون بأخيلتهم في عوالم مجهولة يحللون النفس الانسانية ويصورها بدقة ويحاولون إمطة اللثام عن اسرار الحياة واسرار ما وراء الحياة وفي كثير من التأملات العميقة الرحبة يحدوهم الشك ولكنه الشك الباحث عن الحقيقة المتطلع الى تحقيق مثل انسانية عالية خالدة لا تتطرق اليها الشكوك ولا تلفعها الاوهام والاساطير^٢ . واستعان جبران على اطلاق بالتأمل والصمت شأن الصوفية منذ القدم وكان ذلك سبب يلجأ الى الامعان في العزلة^٣ .

^١ ينظر : الادب العربي الحديث ، د. سالم احمد الحمداني وفائق مصطفى احمد ، مديرية دار الكتب للطباعة والنشر ، الموصل ، ١٩٨٧ : ٢١٧ .

^٢ ينظر : ادب المهجر : ٩١ .

^٣ ينظر : النثر المهجري : ٧٥ .

إن شعر الطبيعة قديم قدم الشعر نفسه، إذ كانت - ولا زالت - بمناظرها المتنوعة تلهم الشعراء أعذب الأشعار وأرقها والشاعر حين يصف مظاهر الطبيعة إما يصفها لمجرد المتعة، وإما لنقل أحاسيسه النفسية وانفعالاته الداخلية. وقد كان ((شعراء العرب قديماً يقفون إزاء الطبيعة موقف المكتفي وحسب بوصف مشاهداته المادية، أو بذكر ما يعني له من صور وتشبيهات سطحية سريعة، دون ترك مجال للخيال، فضلاً عن ذلك فإنهم لم يفرّدوا في وصف قصائد خاصة، بل تناثرت بعض الأبيات التي لا تحس فيها نشوة الشعر وتلهب العاطفة))^(١) وفي الحقيقة، أن الاندماج في الطبيعة لم يظهر أو بالأحرى لم يبلغ أوجه إلا بمجيء الرومانسية، فقد كان الرومانسيون الغربيون مولعين بترك المدن والتوجه نحو الأرياف حيث الطبيعة الخلابة، وكانت تروقهم الوحدة بين أحضانها والخلوة إلى ذات أنفسهم فالنشوة بين أحضان الطبيعة هي طابع الرومانسيين جميعاً، حيث آثروا الخلوة واعتزال الناس، لأنهم أحسوا بفجوة بينهم وبين مجتمعاتهم التي اعلنت مثارة للمشكلات وعبئاً على ذوي النفوس الشاعرة^(٢). ومن هنا جاء تقديسهم للطبيعة وإجلالهم لها. فهذا لامرئين يقول: ((إن الطبيعة أكبر قساوسة الله وأمهـر مصوريه واقدـر شعرائه وأبرع مغنّيه، وإنك لتجد في عش العصفور تتناغى فيه أفراخه تحت رفرع الهيكل الدارس، وفي أنفاس الرياح تهب من البحر حاملة إلى أديرة الجبل المقفرة خفوق الشرع وأنين الأمواج وغناء الصيادين وفي الزهور ينتشر أرجها في القضاء، وينشر ورقها على القبور، وفي مدى أقدام الزائرين تقع مهاجع الموتى من هذا الدير تجد في كل هذا من التقى والروعة والتأثير ما كان في هذا الدير منه وهو في إبان عهده وعنفوان مجده))^(٣).

ولعل الطبيعة من الموضوعات التي شاعت في شعر أدباء المهجر بشكل ملحوظ، فقد اهتم العرب بالطبيعة اهتماماً عظيماً ووصفوها وصفاً منوعاً، وذلك لأن حياتهم ارتبطت بها إلى حد كبير، وشعرهم في الطبيعة عظيم من ناحية الكم والكيف معاً، ولم يترك الشاعر العربي ناحية من الطبيعة إلا وصفها وأتقن الوصف والتفصيل، ولعل التقائهم إلى الطبيعة بألوانها ومناظرها الخلابة دليل على عظم اهتمامهم به^(٤)، لذلك سار شاعر المهجر على منهج أجداده

(١) الخيال الشعري عند العرب ، ابو القاسم الشابي ، كلمات عربية للترجمة والنشر ، ٢٠١٣ : ٤٦ .

(٢) الرومانتيكية : ١٦٩ .

(٣) الخيال الشعري عند العرب : ٦٥ .

(٤) الشعر الجاهلي، منهج في دراسته وتقويمه ، محمد النويهي ، دار المعرفة ، الاسكندرية ، ١٩٨٥ : ٣٨٦ .

الشعراء متعلقاً بأرضه وترابها وسمائها، فعندما سافر إلى بلاد الغرب ظل متعلقاً بوطنه معتبراً شعره جسراً يعبر من خلاله روحاً إلى وطنه وذكرياته التي عاشها.

ومن الملاحظ ان شعراء المهجر سواء كانت جنوبيا او شماليا نزحوا من بلدانهم العربية (لبنان وسوريا وفلسطين) ، فكانت هنالك اسباب شجعت على ذلك فمنهم من هرب من جور الحكم التركي وجماعات اخرى هاجرت طلبا للرزق، لصعوبة الحياة الاقتصادية والاجتماعية في تلك البلدان انذاك وهناك من جمع السببين معاً، وكان الشبان الذين هاجروا تتوقد بين جوانحهم قلوب تتوق للحرية، وفي عقولهم أفاق رحاب من الفكر النير والخيال الخصيب، أولئك كانوا من الجيل المثقف الواعي، الذي عز عليه أن يعيش أسيراً للظلم والعوز فانطلق يبحث عن الحرية^(١).

ولقد اتصل عكوفهم على انفسهم لاستجلاء الحقيقة الكامنة فيها بتقنتهم بالطبيعة وجلالها ولقد غنوا الطبيعة غناء عذبا يملأ القلب شجنا واحساسا بالغربة وقدسوها وخالطوها ونفذوا الى روحها وصوروا ما بينهم من الصلات والوشائج ، استجابة لعقيدتهم بوحدة الحياة وكون الطبيعة مرآة للنفس^٢.

أخذ الشعراء الذين ارتحلوا مع هذه الجماعات ينظمون الشعر، ويكتبون القصص مستهدفين في أدبهم مختلف نواحي الحياة والطبيعة، ومشاكل النفس الإنسانية^(٣)، وكذلك برز الطابع العاطفي ورقته حيث الشوق والحنين الى الوطن البعيد في نغمات مؤثرة حزينة^٤.

لم يجد شاعر المهجر حريته التي كان يتوق اليها الا في الطبيعة التي خلت من الاستعمار وصخب الحياة الجديدة في الولايات المتحدة الامريكية وكان شعر جبران خليل جبران مهتماً بالطبيعة إلى حد كبير، فوجدت اغلب قصائده غزتها ألفاظ الطبيعة سواء المتحركة أو الساكنة. وقد بدا لنا أن شاعر المهجر متمثلاً في جبران أراد الهروب من واقعه وظلمة حياته الاجتماعية والاقتصادية إلى الطبيعة حيث الفرح، والسعادة، والحرية^(٥).

(١) ادب المهجر ، عيسى الناعور ، دار المعارف ، مصر ، ط٢ ، ١٩٦٧ : ١٧ .

٢ النثر المهجري ، د. عبد الكريم الاشر ، دار الفكر للطباعة والنشر ، ط٣ ، ١٩٧٠ : ٧٨ .

(٣) ادب المهجر : ٢٠ .

٤ قصة الادب المهجري ، محمد عبد المنعم خفاجي ، دار الكتاب اللبناني ، ط٢ ، ١٩٧٣ : ٣٠٧ .

(٥) قصة الادب المهجري : ٣٠٧ .

ان ادباء المهجر جميعهم من اخلص ابناء الطبيعة وعشاقها فهم عمقوا الاحساس بها عمقوا الحب لها والاتصال بها ؛ يرون في كل ما فيها اشياء حية : تحب وتكره وتسعد وتشقى تقرح وتحزن وترجو وتخيب . وهم لذلك يناجونها ويستلهمونها ويتمثلون بها ، ويبثونها آمال قلوبهم والامها ، واشواق نفوسهم وحيرتها. وهي توحى اليهم بالحنين اذ تذكرهم بما كانوا يجدونه من جمال الفتان في ربوع بلادهم ، وتوحى اليهم بالتأمل العميق في اسرارهم وما ابدع الله فيها من معجزات تحار فيها العقول وتوحى اليهم بالنوازع المهدبة والافكار السامية والاخيلة البعيدة كأطراف الافق المترققة كالجداول المتساوية اللطيفة كانسام ايار والرحبية كصفحة الفضاء^١ .

زادت هذه السمات شعراء المهجر تعلقاً في الطبيعة؛ لذلك شاعت مفردات الطبيعة في شعر المهجر، فيشعر القارى لديوان جبران بأنه يعيش مع الشمس والزهر والطر والألحان. ولم يمل شاعر المهجر من مناجاة الطبيعة، والإفشاء إليها بخلجات روحه ونبضات قلبه؛ لأنها مظهر من مظاهر الحياة الشاملة.

واشتهر جبران بين صفوف اقرانه فأخذوا يستظهرون شعره ، لأنها كنوز أدبية غنية بالصدق والجمال، نابضة بالشعور والحياة، دافقة بالسمو والغنى الروحي، يجد فيها المحزون سلوى، والمحروم أملاً، والمتعب ترويحاً فهي من الحياة وإلى الحياة^(٢).

ويقول جبران يخاطب الأرض : ((انت ايتها الأرض ... أنت بصري وبصيرتي ، أنت عاقلتي وخيالي وأحلامي ، أنت جوعي وعطشي ، أنت ألمي وسروري ، أنت غافلتي وأنتباهي أنت الجمال في عيني ، والشوق في قلبي والخلود في روحي ، أنت ايتها الأرض، فلو لم أكن لما كنت ...)) .

لاشك ان المخالطة العميقة للطبيعة هي التي انطقت هؤلاء الادباء بمثل هذه الاناشيد حتى ابكوا الصخر وانطقوا الشجر ونقلوا المياه فاجروها في ضلوعهم ونصبوا الى السماء سلالم رأوها بعين بصيرتهم^٣ .

ويقول جبران بلسان العلوية ((ما أجهل من يتخيل أمراً ويتصوره بشكله ومعالمه، وعندما يستحيل عليه إثباته بالمقاييس السطحية، والبراهين اللفظية، يحسب الخيال وهماً، والتصور شيئاً فارغاً، ولكن لو تعمق قليلاً وتأمل هنيهة لعلم أن الخيال حقيقة لم تتحجر بعد، وأن التصور معرفة أسمى من أن تتقيّد بسلاسل المقاييس، وأعلى وأرحب من أن تسجن باقفاص الألفاظ)) .

^١ ادب المهجر : ١٠٠ .

^(٢) المرجع نفسه : ٣٧٢ .

^٣ النثر المهجري : ٧٨ - ٧٩ .

وكان جبران أيمانه بقدرة الخيال على تحصيل حقائق أوسع وأعمق من الحقائق التي يحصلها العقل ، مرده الى احساسهما بقدرة الخيال على الامتداد والشمول والتحرر من سلطان المنطق الحس^١ .

يقول جبران في قصيدة (البحر) التي يتأمل فيها :

في سكون الليل لما تنتني يقطة الانسان من خلف الحجاب

يصرخ الغاب أنا العزم الذي انبته الشمس من قلب التراب

غيران البحر يبقى ساكنا

قائلا في نفسه : العزم لي

هنا صور البحر بالسكون الذي لا ينطق ولكنه لديه القوة والارادة والعزم ، وهذه مناجاة للشاعر ومحاكاة للبحر والطبيعة وهي من السمات التي كانت بارزة لدى الرومانسيين .

ويقول الصخر :

إن الدهر قد شادني رمزا الى يوم الحساب

غير ان البحر يبقى صامتا

قائلا في نفسه الرمز لي

وهنا يتأمل هنالك صراع بين الدهر والبحر فكلاهما يريد ان يكون الرمز له .

وفي القسم الاخير من ((المواكب)) يتساءل جبران ، على لسان الفتى القادم من الغاب يعزف على نايه الحان السعادة ويسأل الشيخ الخارج من المدينة مثقل الروح بهومها واصابها وسخافاتا ، فيقول :

هل تخذت الغاب مثلك منزلا دون القصور

فتتبع السواقي وتسلقت الصخور

هل جلست العصر مثلي ، بين جففات العنب

والعناقيد تدلت ، كثيرات الذهب

هل فرشت العشب ليلا وتلحفت الفضا

^١ النثر المهجري : ٧٤ .

زاهدا في ما سيأتي ناسيا ما قد مضى

وليس هذا فقط فالطبيعة عند جبران هي رفيقة خياله وملهمته البارعة نراها تنتشر في اقصيصه وفي تأملاته وفي شذراته وفي همسات قلبه وروحه ووجدانه الذي جرى به قلمه المبدع^١.

وقد ثار جبران على الثنائية المتمثلة في قصيدته المواكب وهذه الثورة ذات طابع رومانطيقي خالص ، لأنها التزمت بالدعوة الى الغاب او الطبيعة فاحتضنت بذلك اقوى مقومات النزعة الرومانطيقية وحين تمرد على شريعة الانسان ومجد الطبيعة جاءت تجديدا للروسوية - مذهب روسو - أي الرومانطيقية وبطلها الاكيد وهذا ليس يعني ان جبران كان متأثرا بروسو بل الحقيقة انه كان بفطرته وبكل طبيعته واعصابه فتى رومانطيقيا ومن كان كذلك فليس بعيد ان يهتدي بوحي من نزعته النظرية الى كثير مما اهتدى اليه ابناء الرومانطيقية السابقون^٢.

دعا شعراء المهجر إلى حياة اجتماعية مثالية ذات اتصال شديد بالطبيعة، فقد اتخذ أمثله وإلهامه من مائها وسمائها، من حيوانها وطيورها، ومن نباتها وجمادها، أما جبران فقد تميز بشعوره الإنساني وعمق إحساسه بالطبيعة وتفاؤله وحبه للحياة، فكل ذلك كان ينبع شعره واستمد فروعه من المجتمع. فلا غرابه أن تغزو الطبيعة شعر جبران بهذه الكثرة، وجبران أحد شعراء المهجر المشهورين الذين يمكن إطلاق سمات شعره على جزء كبير من شعر المهجر. اندمج جبران خليل جبران في الطبيعة والإنسانية ليعبر عن تأمله في الحياة ورفضه لكل ما يقف في طريق الحرية.

وسنحاول ان نتعرف على المذهب الرومانسي عند جبران خليل جبران من خلال مطولته (المواكب) التي يقول فيها :

ليس في الغابات لطيف لينه لين الجبن

فغصون البان تعلو في حوار السنديان

فهو الطاووس أعطي حلة كالارجوان

فهو لا يدري احسن فيه ام فيه افتتان

^١ ادب المهجر : ١٠١ - ١٠٢ .

^٢ الشعر العربي في المهجر ، د. احسان عباس ومحمد يونس نجم ، دار صادر بيروت ، ٢٠٠٥ ، ط ٤ : ٤٢ .

اعطني الناي وغن فالغنا لطف الوديع

و انين الناي ابقى من ضعيف و ضليع

في هذه الابيات يصور لنا حياة الانسان كحياة الغابة اللطيفة بأشجارها ومنظرها الخلابة
كلطف الانسان في الحياة .

أما قوله :

ليس في الغابات حزن لا و لا فيها الهموم

فإذا هب نسيم لم تجئ معه السموم

ليس حزن النفس ألا ظل و هم لا يدوم

و غيوم النفس تبدو من ثناياها النجوم

اعطني الناي و غن فالغنا يحو المحن

و انين الناي يبقى بعد ان يفنى الزمن

في هذه الصورة يهرب الشاعر من ضنك الحياة نحو الغابات فهناك يتخلص من الحزن والهموم
فنسيم هذه الغابات العليل يمنحه القدرة على اذابة حزن النفوس وتمنح الانسان القدرة على
مواجهة المحن بواسطة صوت الناي الذي يخلده الانسان .

ثم يعود جبران مرة اخرى للطبيعة ويجملها لنا بصورة الانسان الذي بطبعه لا يقنع ابدا
فاذا مات لنتهى كل شيء يربطه بالحياة وينفطم من ملذات الدنيا كما ينفطم الطفل من الرضاعة
، ويمثل هذه الصورة بقوله :

ليس في الغابات سكرٌ من مدام أو خيالٍ

فالسواقي ليس فيها غير أكسير الغمام

إنما التخديرُ ثديٌّ و حليبٌ للأنام

فإذا شاخوا و ماتوا بلغوا سن الفطام

اعطني الناي و غنٌ فالغنا خير الشراب

و أنين الناي يبقى بعد أن تفنى الهضاب

يقوم الشاعر هنا بتصوير البيئة تصويرا رائعا يعبر عن نظرة رومانسية ذات بعد .

إقبال الناس على الحياة يختلف من شخص لآخر ، وذلك حسب ظروف ومقتضيات البيئة التي ينشأون فيها ويعيشون ، وحسب العوامل والمؤثرات التي تؤثر عليهم - سلباً أو إيجاباً - في مشوار الحياة الطويل . ونتيجة لهذه الظروف والعوامل والمؤثرات هناك من يقبل على هذه الحياة فرحاً مبتهجاً سعيداً يرى فيها كل الخير وينظر إلي أنها نور ما فوقه نور وسعادة ما بعدها سعادة ، لذلك يعيش فيها هانئاً مبتهجاً سعيداً متفائلاً داعياً غيره إلي التمتع بكل بكب مباهج الحياة والتفاؤل كما وبما ستجلبه أيامها .. هؤلاء هم المتفائلون الذين لا يرون في الحياة إلا السعادة والسرور والفأل الحسن ، فإن وصفوها صوروها في أجمل صورها وعرضوا علينا محاسنها وحسناتها وما يطوي فيها من بهجة وفرح ، وهم بذلك يطلقون دعوة صريحة لنا للتمتع بها وبمحاسنها، والا نكدر عيشنا وحياتنا بما لا يفيد ولا يجدي^(١).

وبنفس القدر ، ونتيجة لظروف وعوامل ومؤثرات تختلف ع من سابقتها هناك من يقبل على هذه الحياة حزناً كئيباً مبتئساً لا يرى فيها إلا كل شر وظلمة تحيط بما عوامل الشؤم والنكر وال شقاء ، وهو بذلك يرى الخير شراً والشر شراً لا يفرق بينهما فيعيش حياته مترمراً شاكياً من ظلم أيام الحياة التي ينظر إليها أنما ظلمة ما وراءها ظلمة ، فيتهربون من واقعهم ومسئولياتهم ولعلمهم يلجأون إلي ما يعتقدون أنه سينسيهم شر تلك الليالي و ظلمها عليهم^(٢) .

وهؤلاء هم المتشائمون الذين لا يرون في الحياة إلا الشقاء والألم والمعاناة فإذا عملوا على وصف هذه الحياة صوروها في أبشع صورها وعرضوا علينا سيئاتها وما يداخلها من مرارة مخبرين أنه لا راحة للعيش فيها بسلام ، وان الإنسان لن ينعم فيها بلحظات سعيدة هائلة^(٣) .

نجد أن الفريقين قديمان قدم الشعر العربي ، فمنذ أن وجد الشعر العربي وجد فيه الفريقان ، فريق يصور الحياة على أنها متع ولذائذ وهناء وصفاء ، وفريق آخر يصورها على أنها محن وخطوب ومصائب وكوارث.

(١) ينظر : التفاؤل والتشاؤم في شعر ايليا ابو ماضي ، حاتم علي عبد الرحمن ، رسالة ماجستير ، كلية الاداب ، جامعة الخرطوم ، ٢٠٠٦ : ٤١ .

(٢) المرجع السابق : ٤٢ .

(٣) التفاؤل والتشاؤم عند فلاسفة عصر التنوير ، جعفر حسن الشكري ، لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية ، جامعة بابل ، ع ٥ ، ٢٠١١ : ٥٨ .

وتستمر مسيرة الشعر العربي حتى تصل بنا الى العصور الحديثة التي ننسب إليها أدب المهجر متمثلاً في شعره ونثره وغيرهما من أنواع الأدب التي برع فيها أدباء المهجر الشمالي أو الجنوبي^(١) .

وكانت هذه النظرة (التفاضلية والتشاؤمية) في ادب المهجر حتى تكاد تكون من الأعمدة الرئيسية التي يقوم عليها الشعر والنثر في تلك الفترة ، وهي من الأفكار التي توافق فيها معظم أدباء المهجر خاصة أدباء (الرابطة القلمية) في المهجر الشمالي ولعل ظاهرة التفاضل من الصفات البارزة في الأدب المهجري خاصة الشعر ، فهي تتردد في جوانبه وتشيع في أجوائه ، ونجد أن معظم شعراء المهجر انساب شعرهم إما متفائلاً رائعاً داعياً إلى حياة مثلى تسودها الفضيلة والمساواة بين أبناء الإنسانية فنظموا تلك المعاني شعراً رائعاً عبر لنا عن سمو هؤلاء الشعراء ، وشعورهم بإنسانيتهم وقيمة الإنسان لأخيه الإنسان وللحياة . فكانت دعواتهم دعوات واضحة لمجتمع إنساني هادي معا في تسوده روح المودة والمحبة والإخاء وفي ذلك كان شعرهم مزدان بأجمل المعاني السامية ، والأنغام الرائعة والألحان الجميلة التي تدفع بنا إلى التأمل في أسرار الحياة وجمالها وإلى البحث في حقائق النفس الإنسانية والوجود البشري^(٢) .

فكانت الومضات التي تشع بالتفاضل ، وطالعتنا البسمات التي أشرقت بالأمل والحب ونجد الأنغام التي تمزج بالمنى وتشدو بالحياة وروعيتها ومباهجها وأفراحها ، فتدعونا إلى التفاضل بهذه الحياة ويم ما ستجلبه لنا أيامها^(٣) .

وهم بذلك يؤكدون لنا أن لهذه الحياة صورة زاهية مشرقة تنبض بالحيوية والحركة وأنها تستحق أن ينظر إليها المرء نظرة فاحصة متفائلة ليرى جمالها وروعيتها التي سيعيشها . خاصة إذا ثار فيها الإنسان على الضعف والألم واليأس ليرى الجمال في كل شيء وليبيت الأمل في كل حي ، فيطرد النظرة التشاؤمية والتذمر والشكوى عنه وعن أخيه ، ليحس بنفسه و بوجوده و بنفس و وجود أخيه ويدرك حاجة كل منهما للآخر^(٤) .

كل هذه المعاني السامية أدركها المهجريون بعد تأمل وتعمق طويل وخبرات واسعة في مجالات الحياة العديدة وخرجوا بها كحقائق راسخة ومعاني سامية تهدف إلى السمو بالإنسانية ..

(١) ادب المهجر : ٤٥ .

(٢) ينظر : المرجع السابق : ٤٧ .

(٣) بنية التفاضل والنبوءة في قصيدة نازك الملائكة (للصلاة والثورة) د. شريف ، بشير احمد ، مجلة ابحاث كلية التربية الاساسية ، جامعة الموصل ، مج ٤ ، ع ٢ : ١٠٩ .

(٤) التفاضل والتشاؤم في شعر ايليا ابو ماضي : ٤٩ .

(وهم في تأملاتهم تلك كانوا يتجردون من طبيعة الطين فيخلقون بأخيلتهم في عوالم مجهولة ليحللون النفس الإنسانية ويحاولون إمطة اللثام عن أسرار الحياة ، بل وأسرار ما وراء الحياة للكشف عن حقائق تؤدي تحقيق مثل انسانية خالدة .

وبذلك أشرت أدباء المهجر في أن أدبهم يهدف إلي خلق مجتمع إنساني أفضل وأكثر حرية وتطورا ورقيا ، ونجد أن بعضهم نظر إلى تحقيق ذلك في المجتمع الإنساني كوحدة واحدة لا تفريق فيها والبعض وقف في تحقيق ذلك على حدود وطنه العربي كجماعة الرابطة القلمية^(١).

إذاً هذا هو الجانب المشرق الضاحك في شعر المهجر نال اعجاب كثير من قراء ومتنوقي الشعر ونقاده وطلاب الدراسة وسنلاحظ ان التفاؤل يلح في كثير من شعرهم وقصائدهم التي نظموها في شتى أغراض الشعر فنجد قصيدة كاملة يدعو فيها صاحبها إلي التفاؤل والابتسام أو تلمح بعض الأبيات أو حتى بيت واحد في قصيدة ما تدل على مدى تفاؤل هذا الشاعر بالحياة وكيف ينظر إليها نظرة الخبير المتأمل الذي عشق الحياة متفائلاً^(٢) .

وشاعرنا جبران سيد قومه وزعيم جماعته فالتفاؤل ملأ شعره وحياته نتلمس ذلك في اغلب قصائده :

سل طائرا في جنة

غناء فائحة العبير

يلهو ويمرح هائنا

بين الخمانل في حبور

متخيرا حلو الجنى

أو ناقرأ صفو الغدير

آنا يقر مناغيا

في الأيك شادية الطيور

ويهب آنا سائرا

في الجو مختلف المسير

(١) ادب المهجر : ٤٨ .

(٢) ينظر : بنية التفاؤل والنبوءة في قصيدة نازك الملائكة (للصلاة والثورة) : ١١٠ .

فإذا ونى سكن الهواء

يهزه هز السرير^(١)

^(١) ديوان جبران خليل جبران : ٥١١

الفصل الثاني

السمات الجوهرية

المبحث الأول: الاغتراب

المبحث الثاني: المرأة

المبحث الأول: الاغتراب

يعد مصطلح ((الاغتراب من اكثر المصطلحات شيوعا وتداولاً في العصر الراهن ولاسيما في ظل التغيرات العميقة التي رافقت تحول المجتمع الحديث منذ بدايات القرن التاسع عشر الى يومنا هذا وحولته الى مجتمع صناعي وتكنولوجي مادي وقد حضي الاغتراب اهتماما في مختلف النظم والثقافات في المجتمعات السابقة بوصفه ظاهرة انسانية شاملة وقد نال الحظ الاوفر من هذا الاهتمام في شتى مجالات العصر الحديث (كالفلسفة والسياسة والاقتصاد والانثروبولوجيا وعلم النفس والاجتماع فضلا عن الفنون ...))^(١) .

الاغتراب باللغة والاصطلاح

جاء في لسان العرب : ((الْغَرْبُ: الذهابُ والتَّحَيُّ عَنِ النَّاسِ. وَقَدْ غَرَبَ عَنَّا يَغْرُبُ غَرْبًا، وَغَرَبَ، وَأَغْرَبَ، وَغَرَّه، وَأَغْرَاهُ ، ... التَّغْرِيبُ: النْفِيُّ عَنِ الْبَلَدِ الَّذِي وَقَعَتِ الْجَنَائَةُ فِيهِ. يُقَالُ: أَغْرَبْتُهُ وَغَرَّيْتُهُ إِذَا نَحَيْتَهُ وَأَبْعَدْتَهُ. وَالتَّغْرِيبُ: الْبُعْدُ))^(٢) .

أما في المعنى الاصطلاحي : فقد ميز كثير من الباحثين المحدثين بين الغربة والاغتراب اذ تعني الغربة الشعور بالابتعاد المكاني عن الوطن أي الاحساس بالغربة المكانية نتيجة المسافة التي تفصل الانسان عن مجتمعه ومعارفه وعالمه ، اما الاغتراب فيختلف عن الغربة اختلافا جوهريا اذ انه يعني فقدان القيم الانسانية والخضوع لواقع اجتماعي يتحكم في الانسان ، حينئذ يشعر الانسان بالانفصال والانعزال عن الآخرين والعالم حتى عن ذاته^(٣) .

وان الايام كانت تثبت يوما بعد يوم ان الفنان المبدع لا تخلقه الا الظروف القاسية فمن لم يذق طعم المرارة لا يمكن لعقله ان يضيء ابداعا ولا يمكن لصاحبه ان يكون لديه احساس صادق يعطي كل فعل فعله والفنان الحق ليس فقط من اعطاه الله موهبته واكتفى بذلك بل من اکتوى بمرارة الالم .

(١) التحولات الرومانسية في الشعر الفلسطيني الحديث (محمود درويش نموذجا) اطروحة دكتوراه ، قاننة

محمد حسين الشويكي ، ٢٠٠٦ : ١٠٨ .

(٢) لسان العرب : ١ / ٦٣٨ .

(٣) التحولات الرومانسية في الشعر الفلسطيني الحديث : ١٠٨ .

والاغتراب ظاهرة قديمة قدم الانسان في هذا الوجود فمنذ ان تكونت المجتمعات الاولى نشأت معها وفي ظلها الازمات التي كانت تتمخض - بشكل او باخر - عن انواع من الاغتراب، عانا منها الفرد وواجهها على وفق حجم طاقته العادية والروحية فقد تقوده الى التمرد والعصيان مثلما قد تفضي به الى الاستسلام والانعزال والانكفاء على الذات .

والاغتراب هو ((حالة انسانية نفسية اجتماعية تسيطر على الفرد فتجعله غريبا وبعيدا عن واقعه الاجتماعي))^(١) .

ويبدو ان الاغتراب قدر الشعراء العرب القدامى فقد تغرب أمرؤ القيس حين انكر عليه ابوه قول الشعر وخرج مغضوبا عليه في نفر من شذاذ طي وكلب بعد ان شبيب بإحدى نساء ابيه. كما عانى طرفة بن العبد من الاغتراب حين خرج على مجعته وتمرد على قيم القبيلة فتجاهلته العشيرة ، وعرف عنتر العبسي الاغتراب بسبب لونه ونسبته لأمه ، وهي الامة الحبشية، وكان ذو الرمة ضحية الاغتراب الاجتماعي بسبب مرضع العصبي ثم العاطفي حين احب (مية) قرابة عشرين عاما^(٢).

وعانى ابو تمام من اغترابات شتى : مكانية واجتماعية ونفسية حتى امن ان الاغتراب هو التجدد وارتبط الاغتراب بحياة ابو الطيب المتنبي أيما ارتباط فكان نسيجا وحده افردته الهم مثلما افردته الحسد وكان لابي فراس الحمداني اغترابه هو الاخر بسبب مرارة الاسر وعذاب الشوق والحب وعاش الشريف الرضي اغترابات حادة على رأسها اغترابه الروحي الذي تلبسه بسبب مآسي سلالته الهاشمية فاذا ما اقتربنا من ابي العلاء المعري اطللنا على ذروة اغتراب النفس واغتراب المكان واغتراب الجسد^(٣) .

وهكذا يكشف لنا الاغتراب من خلال أولئك الشعراء وسواهم عن نفوس طامحة وارواح مجنحة تآقت الى العلو ووجدت في الارض جحيما لا يطاق .

(١) ظواهر التمرد في الشعر العربي المعاصر ، محمد احمد عزب ، رسالة دكتوراه ، كلية اللغة العربية ، قسم

الادب والنقد ، جامعة الازهر ، ١٩٧٦ : ١١ .

(٢) المرجع السابق : ٣٢ .

(٣) ظواهر التمرد في الشعر العربي المعاصر : ٣٢ .

وقد بات الاغتراب قضية تناولها الفلاسفة والمفكرون بالتحليل وتعقبوها بالبحث والاستقصاء بعد نشوء المجتمع الصناعي من جهة وقيام الحربين الكونيين وما رافقهما من مآسي وويلات من جهة اخرى حتى ليصح ان يقال ان في كل انسان مغتربا ولكن هناك من يربط العبقرية الذهنية الابداعية بالغربة اذ يقول يوسف ميخائيل ((عبقرية الفنان تجعله غريبا عن المجتمع الذي يعيش فيه لأنه بحكم تركيبه العقلي والوجداني وبحكم خبراته الخاصة غير الشائعة وغير المتسمة بالعموم وفردانيته وتفردته يجد انه عاجز عن الانسجام مع الناس فيما يلهون فيه فالكثير من المشاغل التي تجذب انتباه الناس الاخرين تبدو سخيفة في نظر الفنان فهو يبحث شعوريا ولا شعوريا عن غير المؤلف))^(١) .

لقد عانى الانسان العربي عامة والمثقف خاصة من اغترابات شتى واتسمت ردود فعله باشكال شتى تراوحت بين الانسجام مع الواقع الى هامش الحياة او الرضوخ للنظام القائم والاندماج في مؤسساته او التمرد بنوعيه : الفردي والثوري الجماعي او الهجرة الى الخارج بحثا عن فرص افضل في الحياة ، ولابد من الاشارة الى سببين جوهريين وراء اغتراب المثقف يتصل الاول بقضية الحرية وما يتعلق بها من مداخلات السلطة السياسية والاجتماعية ، ويتعلق الثاني بصدمة المثقف بسبب تعثر المشروع النهضوي المرسوم في مخيلته ، واذ انعطفنا نحو الشاعر العربي المعاصر سنجد ان انعكاس الاغتراب عليه بات طرديا مع تعقيد الحياة واضطراب اوضاع المجتمع فالشاعر اسرع من غيره الى الاصابة بهذا الداء لانه يتمتع بقدر عال من الحساسية والتوتر والرهافة ولهذا فقد عاش في اغتراب مركب لانه انسان جمعي يستطيع ان ينقل ويشكل اللاشعور او الحياة الروحية للنوع البشري ، ولاشك ان اغتراب طليعة الشعراء في هذا القرن وفي الحقب اللاحقة قادهم الى محاكاة الرومانسية الغربية ، يستوي في ذلك شعراء الوطن العربي والشعراء العرب في المهجر فاتخذوا من الليل انيسا وتاقوا الى حياة الكوخ واعتزلوا المدينة وتغنوا بالالام وصار الحزن نديما لهم^(٢) .

(١) سايكولوجية الابداع في الفن والادب ، يوسف ميخائيل ، مشروع النشر المشترك العراقية المصرية ، افاق عربية ، الحياة المصرية للكتاب ، د.ط : ١٧ .

(٢) ينظر ظواهر التمرد في الشعر العربي المعاصر : ٥٧ .

ويعرف بعضهم الاغتراب : ((بانه عملية ضرورية تتكون من ثلاث مراحل متصلة اتصالا وثيقا))^(١) . فالمرحلة الاولى تتكون نتيجة لوضع الفرد في البناء الاجتماعي ، وتدخل وعي الفرد لوصفه في تشكيل المرحلة الثانية ، أما المرحلة الثالثة فتعكس على تصرفه انسانا مغتربا على وفق الخيارات المتاحة امامه وبسبب المحيط القاسي المحيط بالشاعر وانعدام تكافؤ قوى الصراع فقد وجد نفسه غريبا بعد ان وعى مأساة وكافح من اجل الخلاص دون جدوى ومن هنا فقد تشكل في داخله رد الفعل المناسب على وفق قدرته ووعيه فقد يتابع مواجهة التحدي من خلال اساليب تتخذ طابع التمرد الفردي احيانا وتندمج في البؤر الثورية الجماعية احيانا اخرى وقد يتكفى على نفسه لاثنا بها هاربا من الواقع منعزلا عن المجتمع^(٢) .

ويذهب بعض الباحثين الى ان الاغتراب احد السمات الجوهرية للوجود الانساني على امتداد العصور ، وهو حتمية اجتماعية تاريخية كما يرى ((والتر كو فمانا)) تطور زمنا والعصور منذ ان بدأ يعي ذاته ومحيطه وهو حالة حتمية وظاهرة انسانية طبيعية تنطوي على طاقة خلاصة ... ومن ضمن ما ورد من معانيه نقل الملكية الاضطراب العقلي الغربة بين البشر او الغربة عن الله والمفارقة بين الله والانسان وغيرها من المعاني التي قد نصادفها كثيرا في الاستعمال الجاري للغة^(٣) .

الاغتراب السياسي : لا يخفى ان للشعر مهمة جليلة ((ولولا هذا الجلال لما غد الشاعر بمنزلة النبي))^(٤) ، ولان الشاعر وفق هذا الرأي صاحب رسالة مهمة في حياة الجماعة فمن البديهي ان يكون اكثر من غيره خبرة وحساسية ومن هذا المطلق كان الشعراء الرواد دورهم في خدمة مجتمعهم من خلال دورهم السياسي دفاعا عن حقوق الوطن والامة وهم وان اختلفت وسائلهم وتباينت وجهة نظرهم حول المنهج والادارة ، الا ان عملهم السياسي تجوهر في خدمة مصلحة الجماعة^(٥) .

(١) غربة المثقف العربي ، د. حليم بركات ، م المستقبل العربي ، ٢٤ ، ١٩٧٨ م : ١١٦ .

(٢) ينظر : المرجع السابق : ١٠٦ - ١١٠ .

(٣) التحولات الرومانسية في الشعر الفلسطيني الحديث : ١٠٩ .

(٤) مفهوم الشعر ، دراسة في التراث النقدي ، د. جابر عصفور : ٢٨٨ - ٢٨٩ .

(٥) المرجع السابق : ٢٩٠ - ٢٩١ .

الاغتراب المكاني والموقف من المدينة : اتخذ الشعراء مواقف متنوعة من المدينة تراوحت بين القبول والرفض والتعاطف كل بحسب الظروف التي نشأ فيها وأشكال الاغتراب التي عانى منها ولذلك نرى ان للشاعر احيانا اكثر من موقف تميله عليه نظرته الى المجتمع فالموقف من المدينة يكاد صدى موقف صدى للموقف من المجتمع^(١) .

الاغتراب الروحي : يقصد بالاغتراب الروحي تلك التي يشعر فيها الفرد بانفعاله ((من ظرف انساني مثالي))^(٢) ، فيتطلع تبعا لذلك الى ((الانعتاق من المحيط به الى عالم من وضع نفسه))^(٣) .

فمن أشهر النماذج الشعرية الطللية تتضمن إحياء للذكرى والبقاء من ذلك قول أمري القيس المشهور : -

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل، بسقط اللوى بين الدخول فحومل^(٤)

فقد بدأ لوحته الطللية باستيقاف صحبه ودعوتهم لمشاركته في حزنه وألمه، فقد اخذته الهموم الى غربة نفسية عميقة اضافة الى فشل استعادة ملاك ابيه والثأر لمقتله فهذا الشعور قد تحول الى حالة مريرة أصبحت محيطا لغربة الشاعر في حياته^(٥).

أما حديثنا هنالك عن اسباب بروز هذه الظاهرة فيها سياسية واقتصادية وثقافية وقد بدأت الظاهرة نتيجة لعدة عوامل تفاعلت فيما بينها، وشكلت العقلية العربية التي يشوبها كثير من الاحباط والضعف حيث كان للدولة العثمانية الاثر الكبير في محاولة طمس الهوية العربية وطبعها بما يتلائم مع طبيعة الاستعمار وشكله في زمن يمتد اكثر من خمسة قرون حتى الطمس وفرض القطيعة المؤدية الى انهاء التواصل الحضاري للامة العربية، وقد أعقب هذه المرحلة مرحلة أخرى تتمثل في الهيمنة الاستعمارية الاوربية، حيث عمل فيها المستعمر على تغييب الوعي العربي وتوجيهه نحو جهة أخرى هي ما يمكن أن نسميه التغريب^(٦) ، الذي شكل اهم

(١) اتجاهات الشعر العربي المعاصر : ١١٨ .

(٢) الاغتراب اصطلاحا ومفهوما وواقعا ، د. قيس النوري ، م. عالم الفكر ، ١٤ ، مج ١ ، ١٩٧٩ : ١٨ .

(٣) نازك الملائكة دراسة في الشعر والشاعرة ، عبد الله احمد المهنة ، د.ط : ٤٦٥ .

(٤) ديوان امرئ القيس ، تحقيق : ابو الفضل ابراهيم ، مصر ، ١٩٥٨ م : ٨ .

(٥) ينظر : غربة الملك الضليل ، عبد الرشدي الصادق محمودي ، مجلة الفصول ، مج ٤ ، ١٩٨٤ : ١٣٢ .

(٦) الاغتراب في الفن ، د. عبد الكريم هلال ، منشورات جامعة قاريونس ، ١٩٩٨ ط ١ : ١٦٤ - ١٦٨ .

ملاحح الاغتراب قي النفسية العربية فمثلا الاغتراب عن الواقع والمجتمع بالانعزال والتفرد في الشعور بالاحباط امام التقدم العلمي الجارف. وفي الوقت نفسه فان الغربة قد اتضحت بشكل واضح بعد الحرب العالمية الثانية في المجتمعات الرأسمالية نتيجة لتعقد العلاقات الاجتماعية والقوانين اللإنسانية فيها فظهرت تيارات مختلفة تعاملت بعضها مع الواقع بشكل سلبي فهرب منه الاديب ملتجأ إلى واقع خيالي في نفسه لانه لا يرى المكانية التغيير للواقع^(١). ومن الاسباب الاخرى للاغتراب هو التنامي اللامشروع للرأسمالية في ظل ثورة صناعية عارمة كان سببا للاغتراب الفردي والعام ولم يقتصر الامر على تلك المجتمعات بل علم دول العالم بمجتمعاته الرأسمالية المتحضرة او المتخلفة ((فكان السلوك الاستعماري العسكري قديما والثقافي حديثا اهم أسباب الاغتراب))^(٢).

واخذ بعض الشعراء يحاولون درء اغترابهم بكشف الواقع المحيط من خلال رؤيا ناقدة قد تؤدي بهم الى الاغتراب (ياسا واحباطا وقلقا). وفي مطلع هذا القرن تأثرت طليعة الشعراء العرب بالنزعة الرومانسية التي ظهرت في الغرب فعاشوا اشكالا منالاغتراب، والغربة والتي يعد (جبران رائداً لها)^(٣).

وعلى الرغم بان شعراء المهجر كانوا بعيدا جدا عن بيئتهم الا ان الشعر الذي قالوه في الحنين كان مباشرا اذ قام على الصدق والبساطة جاء شعرا مؤثرا جميلا غير انهم لو وقفوا عنده واكتفوا به لما كان لهم شأن .

وان عنصر الحنين الى الوطن من اهم العناصر الرومانطيقية كبيرة في الشعر المهجري وكان الدافع الشوق الى الوطن والحنين اثر في شعرهم حيث تجلت الاحاسيس الحزينة التي تربط بين المغترب ووطنه كان اشمل واعمق في شعرهم .

وكتاب النبي لجبران ليس سوى تعبير عن حنين جارف فالمصطفى الذي قضى في مدينة اورفليس اثنا عشر سنة يتربقب عودة سفينة ليركبها عائدا الى الجزيرة التي ولد فيها هو

(١) الغربة في الشعر العربي ، منى علام ، رسالة ماجستير ، دمشق ، ١٩٨٣ : ٢٩ .

(٢) ينظر : المصدر السابق .

(٣) مذاهب الادب الغربي ، د. سالم احمد الحمداني ، مطبعة التعليم العالي ، الموصل ، ١٩٨٩م : ١٤٦ .

نفس جبران الذي عاش في مدينة نيويورك وفي قلبه حنين حار الى الغربة التي ولد فيها الى بشرى وعودة النبي إن هي الا امنية روح جبران في الرجوع الى قريته^(١) .

حيث أسس أبرز ملامح الرومانسية العربية فاتخذ من الليل ملجأ يأوي اليه ويبته همومه حدّاً لتوحد فيه وبذلك جعل منه ((منبع الشعر والوحي والالهام، والملاذ الذي يلوذ به الشاعر المتوحد في غربته واغترابه))^(٢).

ان رحلة الاغتراب اللبناني وتراثه التي بدأت منذ الألف السنين، والتي أعطت اللبناني صفة المغامر الذكي، والطائر المهاجر، والمكتشف الفاعل، اين ما احل في الاميركيين أو في أوروبا وأفريقيا (في اقاصي الارض). كان ولا يزال يتمتع بالإرادة والشجاعة والإيمان: مغامر دون تهوّر ومجد دون ياس ومثابر دون تردد، حتى أصبح يشكل امبراطورية لا تغيب عنها الشمس. بهذه المعاني الجميلة افتتح الامين العام للجامعة اللبنانية والثقافية في العالم معرض ((رحلة الاغتراب اللبناني » الذي أقيم في مكتبة مجلس النواب في بيروت أواسط نيسان / أبريل ٢٠١٣. و لكن ربما غابت عن باله (وكسائر اللبنانيين المقيمين) المعاناة التي يعيشها غالبية إخوانهم وأبنائهم المهاجرين أو إذا صح التعبير المهجرين^(٣). هذه المعاناة المصحوبة بالألم والحسرة لكونهم غادروا في أغلب الأحيان بلدهم المميز لبنان قسراً - بسبب ظروف معينة - قاصدين بلاد الاغتراب متحملين القساوة والوحشة التي عبر عنها جبران خليل جبران أصدق تعبير، حيث هاجر إلى الولايات المتحدة الاميركية وهو في الثانية عشرة من عمره إذ قال: «أنا غريب في هذا العالم، انها غريب في الغربة وحدة قاسية، بوحشة موجعة. غير أنها تجعلني أفكر أبداً بوطن سحري لا اعرفه ... انا غريب عن اهلي وخالني انا غريب عن

(١) ادب المهجر : ٨٥ .

(٢) دراسات في الشعر والشاعرة ،رمزية الليل قرلة في شعر نازك لملائكة ، د .جابر عصفور : ٥١٣ .

(٣) بين لبنان وكندا ٤٠ سنة من العلم والعمل ضياع ... اين المصير ، سامي عاصي ، الفارابي : ١١ .

نفسى فاذا سمعت لساني متكلمًا تستغرب أدنى صوتي... أنا غريب وقد جبت مشارق الارض ومغارها فلم أجد مسقط راسي ولا لقيت من يعرفني أو يسمع بي^(١) .

هنالك سببين نوعيين للهجرة هجرة طوعية حيث كان الانسان على مدى العصور يهاجر بملأ ارادته أما طلبا للعلم او للفضول او بسبب ضيق المعيشة وقلة فرص العمل ؛ ولقد عبر عنها الإمام علي (عليه السلام) بقوله: ((اطلب العلم ولو في الصين))، وكذلك «الفقر في الوطن غربة... والغنى في الغربة وطن» وهجرة قسرية أو ما يمسى بالغربة القاسية، حيث ان الظروف اجبرته على الهجرة فبات مهجرا وليس مهاجرا... والعديد من الدراسات أجمعت على أن الحروب التي شهدتها لبنان (ماضي وحاضر)) هي من الاسباب الرئيسية التي دفعت أبناءه الي الهجرة حفاظا علي سلامتهم من جهة، ولما يترتب علي الأوضاع الأمنية من تداعيات اقتصادية وانعكاسات معيشية من جهة أخرى. فخلال الحرب الأهلية الأخيرة (من سنة ١٩٧٥ إلى عام ١٩٩٠ طاولت الهجرة نحو ٣٠ بالمئة من اللبنانيين. أما بين سنتي ١٩٩٢ و ٢٠٠٧ فتشير دراسة أجرتها جامعة القديس يوسف إلى أنها طاولت نصف مليون شخص، من بينهم ٧٧% من فئة الشباب^(٢).

ولم يقف عند حدود الغربة الروحية والمكانية بل تجاوزها الى الغربة اللغوية حين وجد نفسه محاصرا بسحر حضارة الغرب فتنكر لامته وهو يصرخ (لكم لغتكم ولي لغتي) وعاش الشعراء المغتربون في المهاجر مرارة الغربة وآلام الابتعاد عن الاوطان والحنين اليها فالبعد عندهم معاناة مما اصابهم من ويلات ومصائب وآهات ولم تنته فهولاء الذين ضاعت بهم سبل العيش في الاوطان وسكنوا المهاجر قد شعروا بالعزلة في المدن الصناعية الكبرى التي يتطاحن فيها البشر وتصارعون على المادة ولا يجد فيها الغريب الا الوحشة والضيق^(٣) .

(١) بين لبنان وكندا: ١٢

(٢) المرجع السابق : ١٢ .

(٣) البحث عن المعنى دراسة نقدية ، عبد الواحد لؤلؤة ، وزارة الاعلام ، بغداد ، ١٩٧٣ : ١٣٢ .

وقد نال جبران الشهرة من الغرب والشرق ما لم ينله اديب عربي اخر وورث عليه شهرته في مؤلفاته ورسومه الاموال الكثيرة ولكنه ظل طوال مدة هجرته يحلم بالعودة الى لبنان ليقتضي ايامه في صومعة هادئة في دير مارسركيس هربا من المدينة والضجيج^(١) .

وجبران من الشعراء المغتربيين كان يقرن الليل بلحظات التوحد حين ينفصل الانا المبدعة للشاعر عن الآخرين وقد عانى شاعرنا الاغتراب بنوعيه الفكري والمكاني فيقول :

على هذه الشيطان أسعى إلى الأبد

بين الرمل مسعاي وبين الزبد

سوف يطغى المد على آثار قدمي فيمحو ما وجد

وتطوح الريح بعيداً بعيداً بالزبد

أما البحر و أما الشاطئ فباقيان إلى الأبد^(٢)

ففي هذه القصيدة يظهر الشاعر معاناته الشديدة من الاغتراب الروحي والمكاني الذي يعيش فيه فهو محصور بين هذين الشطين الى الابد . فالشاعر قضى حياته يسعى بين الرمل- الذي يدل على عدم الاستقرار والثبات - وبين الزبد الذي يحمل معنى الزوال كما جاء في قوله تعالى : {فَأَمَّا الزبد فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ}^(٣).

ومد البحر كفيل بمسح اثارنا واما الريح سوف تتكفل بالزبد ، واما البقاء الابدي فهة من نصيب الشاطئ والبحر .

إنجاح قصد أو إلى إعدار	أزمت لك الهجرة الأولى إلى
لزيادة مجتاح وصون ذمار	في نخبة مهما يساموا يبذلوا
سبل الجلاء لأمكت الزوار	يبغون دستوراً يوطيء حكمه
في غير حكم الواحد القهار	الحكم شورى لا تفرد صالح

(١) ينظر : ادب المهجر : ٨٤ .

(٢) رمل وزيد ، جبران خليل جبران، ترجمة : ثروة عكاشه ، دار الشروق ، ط٦ ، ١٩٩٩م : ١١ .

(٣) الرعد : ١٧ .

والظلم رق عشيرة لعشيرة	بقضاء جند عندها وجواري
غصب الجوار أشد في أيامنا	مما دعوا قدما بسبي جواري
والعدل لو في الناس عدل لم يكن	يوما حليف سياسة استعمار
موسى وعيسى بعده ومحمد	فروا من الظلام أي فرار
بالهجرة اتسقت لهم أسباب ما	أوتوه من نقض ومن إمرار
(¹) في كل ما جل اجتماعا شأنه	شفعت نوى لدعائه الأطهار

ففي هذه القصيدة ايضا يؤكد على ان كل الانبياء عانوا من الغربة عيسى عانا الغربة في صحراء سيناء وعيسى ترك الورى.

وان الحدود الجغرافية والتقسيمات السياسية والادارية تشعر جبران بالاغتراب لان ذاته ترفض التقيد في هوية محددة فالعالم بالنسبة اليه عائلة واحدة ومهما كبرت هذه العائلة البشرية فهي عشيرة صغيرة وهذا ما تناقلته الثقافات الحديثة بتسمية الكون معلوماتيا بالقرية الكونية ، وهذه القرية الكونية هي أمة جبران واهلها اهله ((انا ارى ذاتي غريبا في بلد واحد وخارجا من امة واحدة فالارض كلها وطني والعائلة البشرية عشيرتي))(^٢) .

روعت بالفراق بعد الفراق وبها ما بها من الأشواق

بعلبك تبكي وليدا تردى نازحا واحتوته أرض العراق

كان سلوانها رجاء تلاق أين أمسى منها رجاء التلاقي

لا تخافي اغترابه وتخالي أن بعدا تباعد الآفاق

إنما النأي في اختلاف المرامي وتتابي الخلال والأخلاق

ليس في موطن الكرام اغتراب لكريم الأصول والأعراق(^٣)

(^١) المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران خليل جبران ، دار صادر بيروت : ٢٣ - ٢٤ .

(^٢) جبران اصالة وحداثة : ١٨٩ .

(^٣) www.adab.com/modules.php2.r

وفي هذه الابيات تتجسد غربة الشاعر واشتياقه الى لبنان التي نشأ فيها ويحن اليها
ويرى العراق أما لبنان فحتوتها .

المبحث الثاني: المرأة

صورة المرأة في الشعر العربي قديما بالمرأة وتصويرها تصويرا جسديا واهتم بها اهتماما نكاد نقول مبالغا فيه إذ احتلت مساحة كبيرة في الشعر غزلا ووصفا، حينما صور جسدها بكل تفاصيله الأنثوية لشغفه بها وحبه الكبير لها إذ تشكل صورة المرأة في القصيدة الجاهلية انطلاقا مما تتميز به من انفلتات وتعدد جغرافية متنوعة للمتعة^(١) والتأمل، تستدعي تجربة عشقية بالغة العمق^(٢).

واختلفت صورة المرأة في الشعر العربي الحديث عن صورة المرأة في الشعر القديم، حيث بدأت المرأة في هذه المرحلة الشعرية تدخل بحلة جديدة مختلفة عن الصورة التقليدية التي أخذتها في الشعر العربي^(٣).

ولقد بلغت المرأة من المكانة ما يؤهلها لتكون رمزا للقداسة والتبجيل والاحتفال وربما فسر لنا هذا كون جميع الالهة في الجاهلية من الاناث باستثناء (هبل) ولعل من المفارقة ان تكون عملية وأد البنات نابعة من حرص العرب الشديد على المرأة لصيانتها والحفاظ على كرامتها فالمرأة في المجتمع العربي بالرغم من رجوليته وهي القيمة المركبة المعادلة لاثبات الكرامة او نفيها ولذلك سادت علاقة المرأة بالرجل كثير من التناقضات والمفارقات اذ على الرغم من مظاهر الاحتفال والتكريم التي اقترنت بصورة المرأة في الموروث العربي لتكون ذات دلالة نمطية محددة فهي ليست جوهرًا وليست ذاتًا وانما هي مجموعة صفات ويقول الفيلسوف الفرنسي جاك دريدا ليس هناك جوهر للمرأة لان المرأة تفريق وتنزاع عن نفسها ، ولا يوجد لحقيقة المرأة فالمرأة لسم للحقيقة الحقيقية^(٤).

واشتد هاجس الرفض عند احتكاك المرأة أو المجتمع العربي بقيم المجتمع الغربي تولد عندها الرغبة في الشعور بالحرية ورفض كل القيود التي كان المجتمع العربي القديم يربطها بها

(١) الغزل في تاريخ الأدب العربي، احمد الشايب ، دار المعارف للطباعة والنشر ، سوسة، تونس: ٤٥

(٢) الهوية والاختلاف في المرأة : الكتابة والهامش، محمد نور الدين أفاية، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء: ١٢٩.

(٣) صورة المرأة في الشعر العربي المعاصر، عمار عكاش، الحوار المتمدن، العدد: ١١٣١-٢٠٠٥/٣/٨

(٤) التحولات الرومانسية في الشعر الفلسطيني الحديث : ٧١ .

وبالتالي دعت إلى حرية مثل حرية المرأة الغربية، نتج عنه انحلال خلقي للمرأة ومجاراتها لقيم المرأة الغربية.

ولقد عبرت الأشعار العربية عن التحولات الحاصلة في الساحة الاجتماعية العربية وانعكاساتها على الوعي حيث ((جاءت صورة المرأة فيها لتفصح عن توقها إلى الحرية والتحرر وفق الأنموذج الغربي))^(١) .

فعصر القرن العشرين يعتبر عصر حضارة لا بداوة فيه تزخر المدن بمظاهر الترف وال عمران وهذا يدعو إلى شيء كثير من حرية المرأة وخروجها إلى شوارع الحياة تاركة الأزقة والأفاريز، تشارك الرجل فيما يعمل وتكد لتحصل هي أيضا على أداة الحياة مادام الزواج يتناقص، ومادام عدد النساء يتزايد كل يوم حتى ضاقت المرأة ذرعا بذلك وقد انصرف عنها الرجل إلى درجة ما^(٢) .

ولقد انعكس هذا كله على الشعر وتغير تناول الشعراء لصورة المرأة وصوروها بكل معاني الانحلال وتراجعت كل معاني الدفاء والأنوثة والحب التي كانت تحيط بصورة المرأة إلى أن صوروها جسدا بلا روح كما صوروها مومسا بغيا تبيع عواطفها من أجل المال كما صوروها أيضا امرأة لعبا تعبت وتلهو هنا وهناك... إلخ ونحن في دراستنا هذه بصدد التركيز على هذه الصور الثلاثة درسا وتحليلا وبيان جوانب ارتباطها بموضوع بحثنا ألا وهو - ظاهرة إفلاس الحب- وكيف كانت جزءا من ثقافة هذا الإفلاس وجزء من معاناة إنسان القرن العشرين؟.

وهنا نقول أن موضوع المرأة في حركة الحداثة أو في القصيدة الحديثة يندمج مع موضوعات أخرى أو يعبر عنها من خلال الرمزية، ولذلك فإن صور المرأة في القصيدة العربية الحديثة جسدها الموصفات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية وكلها موصفات أرادت للمرأة أن تكون حجر الكيمياء القارئ لأسرار الحياة والمجتمع^(٣). واندمجت مع الموضوعات الحداثيّة الأخرى وتنوعت بذلك دلالاتها ونحن هنا بصدد بيان صورة المرأة الجسد ودلالاتها في بعض أشعار الحداثيين منهم جبران.

(١) دراسات في النص الشعري: العصر الحديث ، عبده بدوي ، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، ص ١٤٤.

(٢) المرجع السابق.

(٣) الحداثة في حركة الشعر العربي المعاصر، خليل الموسى، دمشق، مطبعة الجمهورية، ط١، ١٩٩١.

وقد كانت الحركة النسوية في الشرق ضعيفة في مطلع القرن الماضي حيث بدأ جبران ينشر قصصه ومقالاته فينتصر فيها للمرأة ويطالب ان يقر لها بحق قلبها وقد احدثت كتاباته اثرا كبيرا في الوطن العربي فاقدمت زوجات على مفارقة ازواجهن متأثرات بوردة العاني وكتب بعضهن اليه شاكرا مثبتا^(١) .

ولم يخ جبران حرفا واحدا يدين به المرأة في انحرافها او تمردها على المجتمع بل حمل الشرائع تبعتهما وجعل الرجل مسؤولا منهما يقول : ((رأيت المرأة كالقيثارة في يد الرجل لا يحسن الضرب عليها فتسمعه انغاما لا ترضيه))^(٢) .

والمرأة حين تقدر قدرها في رأي جبران خليفة ان تنقل الرجل من حال الى حال باصابعها السحرية وكنوز قلبها الكبير يقول بلسان صديق اعادته المرأة الى الجادة : ((هي المرأة ياخيليلي المرأة التي ظننتها بالامس ألعوبة الرجل قد أنقذتني من ظلمة الجحيم وفتحت أمامي أبواب الفردوس فدخلت المرأة الحقيقية قد قد ذهبت بي إلى أردن محبتها فعمدنتي تلك التي احتقرت اختها بغباوتي قد رفعتني إلى عرش المجد. تلك التي دنست رفيقتها بجهلي قد طهرتني بعواطفها. تلك التي استعبدت بنت جنسها بالذهب قد حررتني بجمالها...تلك التي أخرجت آدم من الجنة بقوة إرادتها وضعفه قد أعادتني إلى الك الجنة بحنوها وانقيا))^(٣) .

والمرأة في الادب الجبراني عنصر حياة وخلق تركت في الحياة اثرا بارزا سواء اكان ذلك بالنسبة الى المرأة الام ام الاخت ام الصديقة ام الرفيقة ام النموذج وقد عرفها بقوله : هي التي تفتح النوافذ في بصيرتي والابواب في روعي ولولا المرأة الام والمرأة العشيقة والمرأة الصديقة لبقيت هاجعا مع هولاء النائمين الذين ينشدون سكينه العالم بغبطتهم)) .

(١) النثر المهجري : ١٣٦ .

(٢) المرجع نفسه : ١٣٧ .

(٣) النثر المهجري : ١٣٨ .

وهذه الانثى الخالقة التي توقظ فعل الحياة في المجتمع البشري رآها جبران تعيش واقعا مريضا يفرض عليها الذل والانقياد ويكبلها بالضعف والاحتقار فتلتجأ مضطرة الى المكر والاحتتيال للتغلب على ضعفها^(١) .

وقد صور جبران واقع المرأة على مستويات متعددة اوجدها محوران متقاطعان تجمعهما الشريعة ، هذان المحوران هما موقعا من الرجل وموقعها من الامة وعلاقة المرأة بالرجل عبر التاريخ علاقة استسلام فقدت معها الشعور بالاجوع والالام وقتلت فعل الاستشراق الروحي واناخت طاقتها وطأة الذل والانكسار من دون ان يصغي الى حشجة انفاس الحرية لان ((المنازع لا يسمع حشجة صدره أما الجالسون بجانب مضجعه يسمعون والطائر المذبوح يرفرف متحملا قسر ارادته ولا يعلم أما الناظرون فيعلمون وعلاقة المرأة بالامة تعكس الاسقاط المباشر لسيطرة الشريعة ويتجسد في الخنوع للاعراق والتقاليد المتوارثة شأن الامة الخاضعة لحكمها وكهانها فتكون المرأة المتوجعة بين ميول نفسها وقيود جسدها هي كالامة المعذبة بين حكامها وكهانها))^(٢) .

وهنا جاء قوله في الاجنحة المكسرة : ((ان الرجل يشتري الجحد والعظمة والشهرة ولكن هي المرأة التي تدفع الثمن)) وقوله : ((إن قلب المرأة لا يتغير مع الزمن ولا يتحول مع الفصول .. قلب المرأة ينازع طويلا و لكنه لا يموت .. قلب المرأة يشابه البرية التي يتخذها الإنسان ساحة لحروبه ومذابحه .. فهو يقتلع أشجارها و يحرق أعشابها و يلطخ صخورها بالدماء و يغرس تربتها بالعظام و الجماجم .. و لكنها تبقى هادئة ساكنة مطمئنة و يظل فيها الربيع ربيعا و الخريف خريفا إلى نهاية الدهور))^(٣) .

ويقول جبران : ((إن النفس الحزينة المتألمة تجد راحة بانضمامها إلى نفس أخرى تماثلها بالشعور وتشاركها بالإحساس مثلما يستأنس الغريب بالغريب في أرض بعيدة عن وطنيهما - فالقلوب التي تدنيها أوجاع الكآبة بعضها مع بعض لا تفرقها بهجة الأفراح وبهرجتها، فرابطة الحزن أقوى في النفوس من روابط الغبطة والسرور؛ والحب الذي تغسله العيون بدموعها يظل

(١) جبران اصالة وحداثة : ١٧ .

(٢) جبران اصالة وحداثة : ٦٩ .

(٣) النثر المهجري : ١٣٩ .

طاهراً وجميلاً وخالداً))^(١). وفي هذا المقطع تفيض عاطفة جياشة عن لدن جبران خليل جبران فهو يخبرنا ان النفوس الحزينة تشعر بالاغتراب كمن يفقد وطنه فهذه النفوس الحزينة لا تتأثر ببهرجة الحياة لان رابطة الحزن اقوى من روابط الفرح .

وكان للام النصيب الاوفر في نشر جبران باعتبارها المثل الاعلى وقد وصفها وصفا رائعا في ادبه حيث يقول في الاجنحة المتكسرة : ((إن أعذب ما تحدثه الشفاه البشرية هو لفظة (الأم) وأجمل مناداة هي: يا أمي. كلمة صغيرة كبيرة مملوءة بالأمل والحب والانعطاف وكل ما في القلب البشري من الرقة والحلاوة والعذوبة. الأم هي كل شيء في هذه الحياة، هي التعزية في الحزن، والرجاء في اليأس، والقوة في الضعف، هي ينبوع الحنو والرأفة والشفقة والغفران، فالذي يفقد أمه يفقد صدراً يسند إليه رأسه ويداً تُباركه وعيناً تحرسه))^(٢) .

وتتضح صورة المرأة في شعر جبران من خلال شعره فهو يقول :

علينا بالمثال والقلم	وبالنضال الشريف والكرم
ما أثر المرأة الجديدة في	شتى نواحي الرقي للأمم
راقت شعبا يشفي فكنت له	أما وقته مكاره اليتيم
ولم يجنبك ما خصصت به	من النعيم الشعور بالالم
نظرت في يومه وفي غده	نظرة بان الحق معتصم
حاجتنا اسرة تقوم على	ما يقتضي عصرنا من النظم
صالحة للبقاء سالمة	جسومها والعقول من السقم
زوج يعي للتي تشاطره	حياته بالعهود والذمم
وذات بعل ترعى لها وله	بالعقل والعدل اقدس الحرم

(١) الاجنحة المتكسرة ، جبران خليل جبران ، دار يونس للنشر ، الجيزة ، ط ١ ، ٢٠٠١ : ٢٤ .

(٢) ادب المهجر : ٢٣٦ .

وعليه بعنتي بنشأتها
ولا فرق بين الاولاد في القسم
ان لم تربي البنين عاقلة
كيف صلاح الاخلاق والشيم
او ولم تصن بعلمها مهذبة
لاذ بركن في البيت منهم
الاسرة اللمة الصغيرة وان
تنهض فكلتاها على قدم
ما قيمة الحي نصفه تعب
ونصفه في الوجود كالعدم
حدث عن المرأة الجديدة ما
شئت وتحفلن بالتهنم^(١) .

ففي هذه القصيدة الطويلة يبين لنا جبران خليل جبران اساس بناء الاسرة الواعية القادرة على مواكبة تطورات الزمن وهذا الاساس هو المرأة الجديدة القادرة على رعاية زوجها وصيانة شرفها ولها القدرة على تربية ابناءها على ما يتطلبه العصر الجديد .

وفي قول جبران : ((ان المرأة التي تمدحها الالهة جمال النفس مشفوعا بجمال الجسد وهي ظاهرة غامضة تفهمها بالمحبة ونلمسها بالطهر وعندما نحاول وصفها بالكلام تختفي من بصائرنا وراء ضباب الحيرة والالتباس))^(٢) .

يمدح جبران المرأة صفتها القدسية اذ اجتمعت فيها صفة الجمال الروحي والجسدي فهذه المرأة تستطيع ان نتعرف عليها بافعالها ولا يمكن ان نصفها بكلامنا لانها فوق ان نوصفها .

(١) المجموعة الكاملة : ١٠٢٤ .

(٢) الاجنحة المتكسرة : ٢١ .

الخلاصة

- ١- على الرغم من انحسار الرومانسية كمذهب ادبي فقد بقيت كثير من مبادئها ومنجزاتها الفنية شاخصة في ما تلاها من مذاهب وحركات ، اذ يمتد تأثيرها الجمالي والفكري والفلسفي حتى ايامنا هذه .
- ٢- يعد كل ساعر رومانسيا لا بالمعنى المذهبي لهذه الكلمة انما بما يحمله شعره من خصائص ومضامين تستبطن المشاعر الفردية للشاعر وتحاكي العالم الداخلي لنفسه .
- ٣- لاشك ان مفهوم الرومانسية لماله من اتصال وثيق بجوهر الذات الانسانية واستبطانه لهمومها ونزواتها وامالها يعد من اكثر المفاهيم اتصالا بالتجربة الشعرية التي تخرج في جميع صورها عن كونها مرآة للذات الانسانية وما يخالجها من مشاعر وافكار .
- ٤- ان اثر الرومانسية كان واضحا في اشعار جبران خليل جبران وعدّ من اعلام الرومانسية في العالم العربي .
- ٥- رغم الاغتراب جبران خليل جبران عن وطنه بقيت الروح الوطنية تتوهج في اشعاره وتجلت في شعره بشكل بارز في بعض اشعاره .
- ٦- ان شعراء الرومانسية يولون اهتماما كبيرا للطبيعة تتجسد في اشعارهم وكذلك فقد كان للمرأة دورا كبيرا في اشعارهم وقد تجلّى ذلك في اشعار جبران .
- ٧- كانت اشعار جبران ناتجة عن احساسه وهمومه وكل ما يجول في خاطره اذ هو ترجمة صادقة لمشاعره ومرآة عاكسة لانفعالاته وتصرفاته .

المصادر والمراجع

• القرآن الكريم

١. الاجنحة المتكسرة ، جبران خليل جبران ، دار يونس للنشر ، الجيزة ، ط ١ ، ٢٠٠١.
٢. الادب العربي الحديث ، د. سالم احمد الحمداني وفائق مصطفى احمد ، مديرية دار الكتب للطباعة والنشر ، الموصل ، ١٩٨٧.
٣. ادب المهجر ، د. عيسى الناعور ، دار المعارف بمصر ، ط ٢ ، د.ت.
٤. الاغتراب في الفن ، د. عبد الكريم هلال ، منشورات جامعة قاريونس ، ١٩٩٨ ط ١
٥. البحث عن المعنى دراسة نقدية ، عبد الواحد لؤلؤة ، وزارة الاعلام ، بغداد ، ١٩٧٣.
٦. بين لبنان وكندا ٤٠ سنة من العلم والعمل ضياع ... اين المصير ، سامي عاصي ، الفارابي.
٧. جبران اصالة وحدائه ، د. مها خيريك ناصر ، المؤسسة الحديثة للكتاب ، طرابلس - لبنان ، د.ط ، ٢٠٠٢
٨. جبران خليل جبران ، حياته ، موته ، ادبه ، ميخائيل نعيمة ، مؤسسة نوفل ، بيروت ، ط ٩ ، ١٩٨١.
٩. الحداثة في حركة الشعر العربي المعاصر ، خليل موسى ، دمشق ، مطبعة الجمهورية ، ط ١.
١٠. حواشي تحفة المنهاج بشرح المنهاج ، ابن حجر الهيتمي ، عبد الحميد الثرواني - ابن قاسم العبادي - ، د.ط ، ١٩٣٨ م.
١١. الخيال الشعري عند العرب ، ابو القاسم الشابي ، كلمات عربية للترجمة والنشر ، ٢٠١٣.
١٢. دراسات في الشعر والشاعرة ، رمزية الليل قرعة في شعر نازك لملائكة ، د جابر عصفور.
١٣. دراسات في النص الشعري: العصر الحديث ، عبده بدوي ، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع.
١٤. ديوان امرئ القيس ، تحقيق : ابو الفضل ابراهيم ، مصر ، ١٩٥٨ م

١٥. الرائد الصغير أبجدي للمبتدئين ، جبران مسعود ، دار العلم للملايين ، بيروت لبنان ، ط١.
١٦. رمل وزيد ، جبران خليل جبران، ترجمة : ثروة عكاشه ، دار الشروق ، ط٦ ، ١٩٩٩م
١٧. الرومانتيكية ، محمد غنيمي هلال ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان.
١٨. سايكولوجية الابداع في الفن والادب ، يوسف ميخائيل ، مشروع النشر المشترك العراقية المصرية ، افاق عربية ، الهيئة المصرية للكتاب ، د.ط
١٩. الشعر الجاهلي، منهج في دراسته وتقويمه ، محمد النويهي ، دار المعرفة ، الاسكندرية ، ١٩٨٥.
٢٠. الشعر العربي في المهجر ، د. احسان عباس ومحمد يونس نجم ، دار صادر بيروت ، ٢٠٠٥ ، ط٤.
٢١. العين ، الخليل بن احمد الفراهيدي ، تحقيق ، عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية ، ط١ ، ج١ ، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.
٢٢. الغزل في تاريخ الأدب العربي، احمد الشايب ، دار المعارف للطباعة والنشر ، سوسة، تونس
٢٣. قصة الادب المهجري ، محمد عبد المنعم خفاجي ، دار الكتاب اللبناني ، ط٢ ، ١٩٧٣م
٢٤. لسان العرب : ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ابن منظور) ، دار صادر ، د.ط ، ٢٠٠٣.
٢٥. المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران خليل جبران ، دار صادر بيروت
٢٦. مدخل الى دراسة المدارس الادبية في الشعر العربي المعاصر ، د. نسيب نشاوي ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، ١٩٨٤.
٢٧. مذاهب الادب الغربي، د. سالم احمد الحمداني ، مطبعة التعليم العالي ، الموصل ، ١٩٨٩م.
٢٨. المذاهب الادبية والنقدية عند العرب والغربيين ، د. شكري محمد عياد ، عالم المعرفة ، الكويت.

٢٩. معجم التعريفات ، علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني ، تحقيق ودراسة محمد صديق المنشاوي ، دار الفضيلة ، الادارة القاهرة ، د.ط.
٣٠. مفاهيم نقدية ، رينيه ويليك ، ترجمة د. محمد عصفور ، عالم المعرفة، الكويت ، ١٩٨٧.
٣١. مفهوم الشعر ، دراسة في التراث النقدي ، د. جابر عصفور.
٣٢. موت الانسان في الخطاب الفلسفي المعاصر ، د. عبد الرزاق الدواي ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت، ط١ ، ١٩٩٢.
٣٣. موسوعة لالاند الفلسفية اندريه لالاند ، تعريب ، خليل احمد خليل ، منشورات عويدان ، باريس ، ط١ ، ١٩٩٦ ، مجلد ٢.
٣٤. نازك الملائكة دراسة في الشعر والشاعرة ، عبد الله احمد المهنة ، د.ط.
٣٥. النثر المهجري ، د. عبد الكريم الاشر ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، ط٣ ، ١٩٧٠.
٣٦. النزعة الانسانية في الشعر المهجري (ايليا ابو ماضي انموذجا) ، محسن حيدر ، د. ط.
٣٧. الهوية والاختلاف في المرأة : الكتابة والهامش، محمد نور الدين أفاية، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء.

البحوث

١. الاغتراب اصطلاحاً ومفهوماً وواقعاً ، د. قيس النوري ، م. عالم الفكر ، ع١ ، مج١ ، ١٩٧٩.
٢. بنية التفاؤل والنبوءة في قصيدة نازك الملائكة (للصلاة والثورة) د. شريف بشير احمد ، مجلة ابحاث كلية التربية الاساسية، جامعة الموصل ، مج٤ ، ع٢.
٣. التفاؤل والتشاؤم عند فلاسفة عصر التنوير ، جعفر حسن الشكرجي ، لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية ، جامعة بابل، ع٥ ، ٢٠١١.
٤. صورة المرأة في الشعر العربي المعاصر، عمار عكاش، الحوار المتمدن، العدد: ١١٣١-٢٠٠٥.

٥. غربة المثقف العربي ، د. حليم بركات ، م المستقبل العربي ، ع ٢ ، ١٩٧٨م.
٦. غربة الملك الضليل ، عبد الرشدي الصادق محمودي ، مجلة الفصول ، مج ٤ ،

١٩٨٤

٧. القناع في كتاب النبي لـ (جبران خليل جبران) ، اميرة محمود عبد الله ، مجلة كلية التربية للعلوم التربوية والانسانية / بابل ، كانون الاول ، ٢٠١٥م ، ع ٢٤

الرسائل الجامعية

١. التحولات الرومانسية في الشعر الفلسطيني الحديث (محمود درويش انموذجا) اطروحة دكتوراه ، قاننة محمد حسين الشوبكي ، ٢٠٠٦.
٢. النفاؤل والتشاؤم في شعر ايليا ابو ماضي ، حاتم علي عبد الرحمن ، رسالة ماجستير ، كلية الاداب ، جامعة الخرطوم ، ٢٠٠٦.
٣. الغربة في الشعر العربي ، منى علام ، رسالة ماجستير ، دمشق ، ١٩٨٣.
٤. ظواهر التمرد في الشعر العربي المعاصر ، محمد احمد عزب ، رسالة دكتوراه ، كلية اللغة العربية ، قسم الادب والنقد ، جامعة الازهر ، ١٩٧٦.
٥. نثر جبران خليل جبران ، دراسة في ضوء علم النص ، رسالة ماجستير ، رؤى هاتف بريهي ، كلية الاداب ، جامعة القادسية ، ٢٠١٥.
٦. النقد الادبي في المهجر ، رسالة ماجستير ، عليه جاسم النجار ، كلية الاداب ، الجامعة المستنصرية ، ١٩٨٥

المواقع الالكترونية

www.adab.com/modules.php2.r